المحتوى السلبي للبث المباشر وأثره في السلوك الإجرامي

د. رضا عبد الحكيم*

الملخص

استهدفت هذه الدراسة تقديم رؤية حول الآثار الجنائية للبث المباشر ، من منظور أن سلبيات البث لها تأثير في السلوك الإنساني، وحيث تمثل هذه السلبيات أحد الروافد المؤثرة التي تهيئ للنشء ارتكاب الجرائم، الأمر الذي جعل الباحث يهتم بإلقاء الضوء على صلة الصور المرئية بالسلوك الإجرامي، وما تحمله هذه الصور وعروضها المتنوعة من تأثيرات تفضي إلى نتائج ضارة مرفوضة اجتماعيًّا. وبما يثير الحاجة إلى حلول سواءً من وجهة نظر المهتمين بالدراسات التربوية والاجتماعية أو علماء الجريمة، أضف إلى هذا علماء الشريعة.

فالدراسة اتخذت من البحوث السابقة في المجال الاجتماعي «بمفهومه الشامل» نقطة ارتكاز ومعطى جوهري يؤسس لشراح علم الإجرام قواعد يستندون إليها في تفسير مشاهد البث المباشر السلبية، كعامل مهيئ لارتكاب الجريمة، وكسبب من الأسباب المؤدية إلى الانحراف، وجنوح الشباب إلى سلوك الجريمة. إن أثر البث المباشر السلبي في السلوك الإجرامي - جد - حقل من الدراسة تشغر منه معظم منشورات البحوث الجنائية المتخصصة. ويأمل الباحث أن تضع الدراسة مقدمة لبحوث ميدانية تعتمد الإحصائيات المتوافرة لدى مراكز أبحاث الجريمة، الأمر الذي يقدم إضافة إلى البحوث الجنائية، ويفتح الطريق؛ للتواصل العلمي المستمر من أجل تطوير وتجديد الدراسات المتصلة بعلم الإجرام وفروعه التخصصية مثل: علم النفس الجنائي، وعلم الاجتماع الجنائي ، وعلم السياسة الجنائية، وعلم العقاب وأهدافه التربوية.

---

* باحث من مصر.

The negative content of the live broadcast and its reflections on the criminal behavior

Dr.Rida Abdul Hakim

Abstract

This Article deals with the problem of media education in the field of television studies in Arab and this study aimed at providing a vision about the criminal implications of the live broadcast from the perspective that negative aspects of direct broadcasting have an effect on human behavior.

But because these negatives represent one of the affecting reasons that push youth for committing crimes, the researcher is interested in throwing light on the relationship between visual images and the criminal behavior and what these images and its variety shows carry from effects that lead to socially unacceptable and harmful results in the manner that need solutions, whether from the standpoint of those interested in the educational and social studies or the criminal scientists. Add to those the religion scientists.

The study make the previous research in the social field is an essential point in which put rules for the sociology teachers to depend on them on explaining and interpreting the negative live broadcast scenes as a predisposing cause for committing crimes and as one of the reasons that lead to deviation and the tendencies of young people to conduct crime.

The negative broadcast reflections in the criminal behavior is a field of study that most of the research publications of the specialized criminal far from it .The researcher hopes that this study put a beginning or an introduction for research based on the available statistics of the centers of research in Crime.

The matter that introduces more for the criminal research and open the way to the continuous scientific communication for the development and renewal of studies related to the criminal science and its specialized branches such as the Criminal psychology, the criminal sociology ,the criminal political science and the punishment science and its educational aims.

تقديم الدراسة

يقصد بالبث المباشر في مجال هذه الدراسة ، تلك العروض المرئية والمشاهد التي تذاع عبر شاشات التليفزيون، وشاشات الكمبيوتر، ومع الوضع في الحسبان منجزات ثورة الاتصالات وكثافة العروض والمعارف المرسلة عن بعد متجاوزة الحدود الوطنية، بفعل التوابع الفضائية وشبكة الإنترنت.

لاحظ الباحث ندرة الدراسات التي تتناول التأثير السلبي لمشاهد البث المباشر من وجهة نظر المتخصصين في علم الإجرام، فالبث المباشر لم يعد محصورًا فيما يعرضه التليفزيون من موضوعات فنية وثقافية محلية، أو فيما يعرض سينمائيًّا أو على خشبة المسرح. بل اتسع نطاق عروضه من خلال تكنولوجيا القنوات الفضائية، ومن خلال الشبكات الحاسوبية العملاقة، الأمر الذي يستوجب دراسات أكثر عمقًا وأوسع مجالًا بغية تحقيق أهم الأهداف التي ينشدها علم الإجرام، في تفسير أسباب السلوك الإجرامي، واقتراح أساليب الوقاية والعلاج، في مواجهة تصاعد عروض البث المباشر ومشاهده بفعل التكنولوجيا المطورة، والتي تستحضر ـ آنيًّا ـ ثقافات مشرق الأرض ومغربها، وما تحمله من إيجابيات وسلبيات.

أهداف الدراسة وتساؤلاتها

تهدف الدراسة الحالية إلى معرفة التأثيرات السلبية المتصلة بمشاهد القنوات الفضائية على النشء ، وذلك من خلال الاستعانة بأحدث البحوث الميدانية الموثقة . ويرتبط بهذا الهدف مجموعة من التساؤلات الفرعية يمكن تحديدها فيما يلي :

- ما دوافع تركيب الأطباق اللاقطة والاعتماد على القنوات الفضائية ؟
- ما نوعية البرامج المفضلة لدى المشاهد ؟
- هل يفضل المشاهد القنوات الفضائية العربية أو الأجنبية أو كليهما ؟ وما أسباب ذلك التفضيل ؟
- ما التأثيرات الإيجابية والسلبية المصاحبة لمشاهد القنوات الفضائية ؟

والدراسة تحاول تتبع الآثار التي يمكن أن تتركها عروض البرامج في أنماط تفكير المشاهد وسلوكه، وفي مقدمتهم الشباب، خصوصًا مع افتراض أن أفلام العنف والجريمة والجنس تؤثر عادةً في سلوك الشباب ومظهرهم الخارجي.

من هنا تبدت قيمة الرجوع إلى أحدث الدراسات ذات المنهج الاستطلاعي، والتي استخدم في إنجازها استمارة الاستبانة Questionnaire بوصفها الأداة الرئيسة المفيدة في جمع المعلومات من الشباب الجامعي ، وخصوصًا أن الدراسة استندت إلى السجلات والوثائق الرسمية داخل إحدى الجامعات العربية.

في ظل الفرضية القائلة بأن التعرض للتليفزيون باستمرار يؤدي إلى نتائج سلبية في حياة الشباب الاجتماعية ، فقد دقت أسئلة تبحث عن جواب، مثل:

- هل هناك علاقة بين انحراف الشباب ومشاهدة البث المباشر ؟

- ما علاقة سلوك الشباب بمشاهد البث المباشر من ناحية التقليد والمحاكاة؟

على سند من البحوث الاجتماعية والإنسانية المهتمة بدراسة الآثار السلبية للبث المباشر، وما توصلت إليه من نتائج ، يجد الباحث إجابة منطقية حول مدى صلة السلوك الإجرامي بمشاهد البث المباشر.

من هنا ينصرف موضوع هذا البحث - بصفة رئيسة - إلى دراسة التأثير السلبي لمشاهد البث المباشر كعامل مهيِّىء لارتكاب الجريمة، وكسبب من الأسباب المؤدية إلى الانحراف وجنوح الشباب إلى سلوك الجريمة ، والتأثير السلبي لمشاهد البث المباشر من منظور جنائي - لا شك - ينتمي إلى بحوث علم الإجرام، وهو العلم الذي يدرس الجريمة كحقيقة واقعية؛ توصلًا إلى أسبابها وبواعثها عضوية كانت أو بيئية، وبغية الوقوف على أنجح أسلوب في التوقي منها وفي علاج فاعلها كي لا يعود إليها من جديد.

إن علم الإجرام يتفرع إلى أربعة فروع، هي علم طبائع المجرم، وعلم الاجتماع الجنائي، وعلم الأمراض العقلية الإجرامية، وعلم الوقاية والتقويم، أو علم السياسة

الجنائية.

تقع دراسة تأثير البث المباشر ضمن موضوعات علم الاجتماع الجنائي، بوصفه فرعًا من علم الإجرام مرصودًا لبحث ما يكون من عوامل الإجرام خارجيًّا صادرًا من البيئة الاجتماعية، لا داخليًّا منبعثًا من تكوين المجرم .

ويفضل الباحث أن يبدأ بتعرف تكنولوجيا البث المباشر وما استحدثته من مستجدات تقنية أسفرت عن اتساع عروضه وتنوع معارفه وموضوعاته، ومن بعد شرح الجوانب السلبية في عروض البث المباشر، وذلك في ضوء أحدث الدراسات والبحوث المتخصصة . ثم يسبر الباحث مدى تأثير البث المباشر كعامل مهيِّئ لارتكاب الجريمة، في ضوء نتائج بحوث ودراسات علماء الإجرام، وينتهي الباحث أخيرًا إلى اقتراح أنجح التدابير التي ينبغي أن تؤخذ في الحسبان من أجل الوقاية من الآثار السلبية لمشاهد البث المباشر.

تقسيم الدراسة :

الفصل الأول: في تكنولوجيا البث المباشـــر

الفصل الثاني: التأثير السلبي للبث المباشـــر

الفصل الثالث : البث المباشر كعامل مهيِّئ للانحـراف

الفصل الرابع : علاج السلبيات ومكافحة العامل المهيئ

الفصل الأول : تكنولوجيا البث المباشر

«البث» في اللغة العربية، معناه : النشر، ويقال: بث الخبر، أي أذاعه. وقد شاع استخدام كلمة إذاعة في شأن البث غير المرئي الصادر عن جهاز الراديو، إلى أن ظهر التلفاز؛ ليصبح أهم آليات البث المباشر بفعل اضطلاع هذا الجهاز ببث الصوت والصورة آنيًّا.

كان الراديو Radiodiffusior، في مقدمة الابتكارات العلمية الاتصالية الحديثة، وقد بلغ تطوره مبلغًا أخاذًا، ويكفي أن القفزات العلمية الهائلة ـ والتي لم تصل إلى

منتهاها بعد ـ قد استعانت بالطاقة الشمسية في أعمال محطات الإذاعة، وحيث توصل العلماء إلى جعل الشمس مصدرًا لبث البرامج في الإذاعات ، دون الاعتماد على أي شكل آخر من مصادر الطاقة «شعبان : 1986» .

ثم جاء التليفزيون Television كأنجح وسائط البث المباشر ، ويمثل جهاز مستقبل يطلق عليه أساسًا Televiseur والتليفزيون هو نوع من الراديو المرئي، وأكثر أنواعه يبث من خلال قنوات عديدة، ويمكن أن يشاهد ويسمع في أي مكان من العالم، ويختار المشاهد ما يريد، وكانت هذه الآلة قد دخلت عالمنا العربي منذ بداية الستينات، وبصفة عامة تهيمن الدولة على محطات البث ، وبخلاف السينما تتسع منابع البرامج التي يتم مشاهدتها في التليفزيون ، ويمكن رد هذه المنابع إلى ثلاثة:

الأول: منابع حية، أي البرامج الخارجية مثل المباريات والحفلات والأحداث المختلفة، ففي هذه الحالة تنتقل الإشارات المرئية «الصورة» عن طريق أجهزة التصوير الإلكترونية، وتنتقل الإشارات الصوتية عن طريق الميكروفونات ، ثم تؤخذ هذه البرامج وتعدل ويتم ضبطها وتجهيزها ثم إرسالها إلى محطات البث.

الثاني: المنابع السينمائية ، أو فيما يسمى البرامج التي يتم تصويرها على أفلام، وعند عرضها عن طريق أجهزة العرض تتحول إلى إشارات تلفازية ثم تعد للإرسال إلى محطات البث.

الثالث: البرامج المسجلة على أشرطة مغناطيسية. وحيث تحمل هذه الأشرطة الإشارات المرئية والإشارات الصوتية لهذه البرامج، ثم تفرغ وتعد للإرسال إلى محطات البث ... وتدخل جميع هذه المنابع أو البرامج بعد تعديلها وتنظيمها وضبطها إلى أجهزة البث الميكروئية فيما يسمى « ميكروويف» «Microwave Transmitters» التي ترسلها بدورها إلى محطات الإرسال الرئيسة فتستقبلها أجهزة ميكروية أخرى، ويطلق عليها «Microwave Receivers» ثم تمر هذه البرامج في وحدات منظمة ومعدلة حيث تعد لتدخل جهاز الإرسال أو البث الرئيس الذي يقوم بدوره بتقوية

الإشارة بدرجة كبيرة وبثها عن طريق «هوائي الإرسال» حيث تصل هذه الإشارات إلى هوائيات الاستقبال لأجهزة التليفزيون في المنازل ، ثم تدخل الجهاز نفسه ، حيث يقوم بتعديلها وضبطها وتحويلها إلى صور وأصوات مرة أخرى .

ابتداءً من العقد الأخير من القرن العشرين ، صار نقل برامج التليفزيون عن طريق الأقمار الصناعية حافزًا لمحطات تليفزيونية عديدة؛ لأن تبث إرسالها عالميًّا وفضائيًّا، وأن يستقبل المشاهد العادي هذه البرامج العديدة بإضافة «إيريال»، أي هوائي على شكل طبق إلى جهاز التليفزيون العادي، والطبق الهوائي «الدش» عبارة عن جهاز استقبال من الأقمار الصناعية، يستقبل البرامج التي تبيعها المحطات عن طريق الأقمار الصناعية؛ لإذاعتها. من هنا كانت تكنولوجيا البث المباشر ثورة إعلامية حولت العالم إلى قرية إعلامية صغيرة، وهذه الثورة الإعلامية أدت إلى منافسة شرسة بين القنوات الفضائية «محمد : 1994»

ومن المحقق، هو تعرض المنطقة العربية لكم هائل من القنوات الأجنبية التي تستخدم أقمارًا صناعية تغطى بها هذه المنطقة؛ حيث تستخدم أقمار «عربسات» و« أسياسات» و «يونلسات» من أجل توصيل برامجها للمشاهد العربي الذي تنامى حجمه بسبب الإقبال على امتلاك أطباق الالتقاط الفضائية، أو الاشتراك في نظم توزيع الإشارة التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية من خلال شبكات الكوابل والألياف البصرية والميكروويف «البياتي : 2006»

من ناحية أخرى أصبحت شبكة الإنترنت في مقدمة أدوات تلقي المعلومات والمعارف عن بعد ، وهي تتميز بتدخل الإنسان فيها، فيستحضر ما يرغب في استحضاره على شاشات الحواسيب ، بل ويمارس عليها معظم نشاطاته الذهنية والعملية ، فمن خلال الإنترنت يسترجع المعلومات ، ويتسوق ، ويتعلم ، ويتسامر ، ويعقد المؤتمرات ، وخلافه «علي : 2003»

بذلك لم يعد البث المباشر محدودًا بدولة معينة أو منطقة بذاتها، فهو ينطلق

متجاوزًا كل عائق، ويرسل ويستقبل في أي بقعة من بقاع عالمنا شديد الاتصال، كثيف المعلومات «الطراح : 2005»

مرجع الاتصالية الفاعلة في مجال البث المباشر هو ذلك التقدم الهائل في تكنولوجيا التوابع الصناعية ، وتقانة الأطباق الفضائية ، وشبكة الإنترنت .

أولاً : التوابع الصناعية

تعد التوابع الصناعية – أو وفقًا للتعبير المتداول الأقمار الصناعية «لطفي : 2003 والشنطي : 1998» – وسيلة متميزة لتبادل الاتصالات بين الدول المختلفة ، وهو ما ترتب عليه إحداث ثورة حقيقية في مجال البث الإذاعي «Makeen, 2000».

وتنبه العرب في وقت مبكر لأهمية الاستغلال العلمي والثقافي لهذه التكنولوجيا الحديثة، وصدرت عن مؤتمراتهم عدة توصيات بضرورة إنشاء شبكة فضائية للعرب، وفي عام 1976 أنشئت المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية تحت اسم عربسات «ARARBSAT» بغرض خدمة الاتصالات بين بلاد الوطن العربي بوجه عام ، ونقل الإرسال الإذاعي والتليفزيوني المحلي والجماعي فيما بينها بوجه خاص «المقوسي: 1986».

يتضح مما تقدم مدى حرص الدول جميعًا على الوجود الفعال في الفضاء الخارجي، وتملك زمام المبادرة الإعلامية بمعناها الواسع في عالم لم يعد يعرف للبث الإذاعي حدودًا جغرافية أو قيودًا تقنية إلا بقدر رغبة موجه البث، وليس متلقيه.

ويقصد بمصطلح تابع صناعي : كل جهاز يمكن أن ينقل إشارات ويقع في الفضاء الخارجي للأرض، أو يقع مداره جزئيًّا على الأقل في ذلك الفضاء .

وتستخدم هذه التوابع الصناعية في الاتصالات وبوجه خاص في نقل البرامج التليفزيونية بين البلدان المختلفة متخطية بذلك الحواجز الجغرافية والسياسية.

يمكن التمييز بين نوعين أو جيلين من التوابع الصناعية، وهما التوابع الصناعية للبث الإذاعي غير المباشر، والتوابع الصناعية للبث الإذاعي المباشر «Fabinal

1988»، ويكمن معيار التفرقة بينهما في وجود محطة أرضية تستقبل الإرسال من التابع الصناعي، ثم تعيد بثه للجمهور في النوع الأول ، وعدم وجود هذه المحطة في النوع الثاني وذلك على التفصيل الآتي :

النوع الأول: التوابع الصناعية للبث الإذاعي غير المباشر

ويقصد بها التوابع التي تكون الإشارات حاملة البرامج التي تصدر عنها عاجزة عن الوصول مباشرة إلى الجمهور، مما يستدعي تدخل محطة استقبال أرضية؛ لتلقي هذه الإشارات، وإخضاعها لسلسلة من العمليات التقنية؛ بغية تحويلها إلى إرسال مقروء من الجمهور ، وبذلك يتمكن الجمهور من استقبال الإرسال بواسطة أجهزة الاستقبال الإذاعي العادية ، ويتم بث الإرسال إليه من المحطة الأرضية بإحدى طريقتين، وهما الطريقة السلكية «الكابلية»، أو الطريقة اللاسلكية .

ويميز عادة بين نوعين من هذه التوابع، وهما : التوابع الصناعية من نقطة إلى نقطة والتوابع الصناعية للتوزيع .

النوع الثاني: التوابع الصناعية للبث الإذاعي المباشر

تصدر هذه التوابع إشارات إلكترونية قوية تحمل معها البرامج من محطة الإرسال إلى الجمهور مباشرة خصوصًا في المنازل «Dierct to Home Reception : DTHR» وعادة ما تكون أجهزة استقبال الجمهور مزودة بوسائل تقنية خاصة تسمح لها بتلقي الإشارات وترجمتها إلى برامج، كما أن الاستقبال يتم بطريقة سلكية ، وإن كان هذا لا يمنع من أن يكون الاستقبال عن طريق أجهزة الاستقبال العادية في بعض الأحوال . هذا الاستقبال يتيح للجمهور الموجود في دائرة الاستقبال الاستفادة من هذه التكنولوجيا المتطورة. وبدهي أن هذه التوابع الصناعية لا تواجه أية مشكلات فيما يتعلق بمناطق الظل، أي التي يتعذر وصول الموجات الهرتزية العادية إليها؛ لأن البث يتم عبر الفضاء، ولندلل على المقدرة «الخارقة» لهذه التوابع الصناعية يمكننا أن نذكر أن ثلاث وحدات منها كفيلة بتغطية 90 % من مساحة العالم بإرسالها ،

وهذه المقدرة هي التي جعلت منها زائرًا غير مرغوب فيه من بعض الدول لأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية، مما أدى إلى خلق مشكلات قانونية كثيرة ومعقدة «Featherstone , 1992»

ويقع بين التوابع الصناعية للبث الإذاعي غير المباشر، والتوابع الصناعية للبث الإذاعي المباشر نوع ثالث يجمع بين مزايا كل من هذين النوعين ، وإن عُدَّ من التوابع الصناعية للبث الإذاعي غير المباشر ، وهي التوابع الصناعية المحددة نطاق الخدمة، أو ذات نطاق الخدمة المحدد ، فيستمر تلقي البث الإذاعي الصادر منها بواسطة أجهزة استقبال خاصة دون مرور بالمحطات الأرضية ، ويرجع الفضل في ذلك إلى ما أوتيته هذه الإشارات حاملة البرامج من قوة أصبح معها ممكنًا إلغاء المحطات الأرضية، والاعتماد على هذه الأجهزة التي هي أخف وزنًا وأقل قيمة حاليًّا، شأنها في ذلك شأن سائر التوابع الصناعية للبث الإذاعي غير المباشر، وهذا هو ما جعل الأخيرة تستمر جنبا إلى جنب إلى جوار التوابع الصناعية للبث الإذاعي المباشر، ولعل ظهور هذا النوع المتميز من التوابع هو الذي جعل التفرقة بين النوعين التقليديين للتوابع الصناعية تخف حدتها جزئيًّا.

ثانيًا: القنوات الفضائية

لقد انتشرت القنوات الفضائية بشكل كبير ، في كل مكان في العالم ، بما في ذلك عالمنا العربي، الذي انتشرت فيه هذه القنوات منذ ما يزيد على عقد من الزمان، وما زالت في ازدياد متواتر مستمر ، منذ إطلاق أول قناة عربية 1991 وحتى الآن «البياتي: 2006».

إن ظاهرة القنوات الفضائية العالمية تمر بمرحلة البداية؛ حيث تشهد كل يوم ولادة قنوات فضائية جديدة ، وقد بلغ عدد القنوات الفضائية 535 قناة تليفزيونية فضائية تمتلك أوروبا منها 262 قناة بنسبة 50 % تقريبًا، تليها آسيا، وتملك 115 قناة بنسبة 22 % ، ثم أمريكا الشمالية، وتمتلك 89 قناة بنسبة 17.5 % ثم الدول

العربية 8 % وتمتلك دول أمريكا الجنوبية 5 % وأستراليا قناة واحدة ، وتبلغ القنوات المفتوحة 282 قناة بنسبة 54 %، أما القنوات المشفرة 243 قناة بنسبة 41 % من قنوات العالم، ولقد صاحب نموَ القنواتِ الفضائية في العالم العربي ، نموٌّ فلكي في ملكية أجهزة التليفزيون في منطقة الشرق الأوسط 43.2 % خلال عقد الثمانينات ، وفي التسعينات وصل معدل النمو في منطقة الشرق الأوسط 43.2 % خلال عقد الثمانينات وفي التسعينات وصل معدل النمو في هذا العقد إلى 35 % مقارنة بالمعدل العالمي لنمو ملكية أجهزة التليفزيون وهو 48.4 % خلال الثمانينات و 31.7 % خلال التسعينات .. مع ملاحظة الفروق الكبيرة في معدلات ملكية أجهزة التليفزيون بين الدول العربية ، فهي تتراوح بين جهاز لكل اثنين من السكان في البحرين، وجهاز لكل 117 شخصًا في السودان .

ومن أبرز المحطات التليفزيونية الدولية ، سي إن إن «CNN» ، وبي بي سي «BBC» البريطانية، ويورنيوز «EURONEW».

تعرف القنوات الفضائية بأنها تلك القنوات التي تعتمد على البث التليفزيوني الفضائي المباشر من خلال الأقمار الصناعية ، وهي قد تكون قنوات خاصة ، أو حكومية، وقد تبث إرسالها من داخل العالم العربي ، أو من خارجه ، وبشكل خاص من أوروبا ، كما أنها قد تكون قنوات عامة ، أو تشتمل على قنوات متخصصة ، وهي تهدف إلى بث برامج ترفيهية ، وإخبارية ، واجتماعية ، وفنية ، كما تعتمد أيضًا على البث الإعلاني بشكل كبير في العدد الغالب منها ، وأخيرًا ، فإن الكثير منها يبث باللغة العربية ، في حين بعضها الآخر يعتمد بجانب العربية ، على اللغات الأجنبية الأخرى مثل الإنجليزية والفرنسية ، ويعرف الباحثون المقصود بالبث المباشر على أنه التلقي المباشر من القمر الصناعي إلى جهاز الاستقبال في المنزل ، أو عبر الكابل المرتبط بمحطة استقبال وتوزيع ترددات القمر ، أما ميكانيكية البث المباشر فتعتمد على قيام محطة بث برنامج، أو مادة يحجز لها وقت على قمر صناعي تتعامل معه بحيث يقوم

القمر ببث المادة في نفس وقت بثها - إلى الدول المستقبلة .

ثالثًا : الإنترنت

أو «شبكة الاتصالات الدولية ، هي شبكة أنشأتها الولايات المتحدة الأمريكية في الستينات من القرن الماضي؛ لخدمة عمليات التأهب السريع للقوت المسلحة الأميركية في حال نشوب حرب نووية، أو أي هجوم يهدد أمنها «الأهواني : 2003، والعشري : 1998» ويقصد بمصطلح الشبكات اللغة التي تسمح لأجهزة الحاسبات الموجودة على الشبكة بأن تتصل ببعضها، وتتحدث إلى بعضها ، والمقصود بالتحدث هو تبادل البيانات والمعلومات والملفات والإشارات فيما بينها ، وفي بداية الثمانينات من القرن الماضي استخدمت الشبكات الموجودة المتصلة بروتوكول الاتصال Tepid ، وبهذا أصبحت الشبكة «ابرنت» هي العمود الفقري للاتصال بين المواقع ، وعند التحول إلى هذا البروتوكول ، وعلى وجه التحديد سنة 1983 ، ولدت الشبكة الدولية الإنترنت «العمر : 1999» .

وفي منتصف عام 1993 خرج من معطف الإنترنت أجنحة للوسائط المتعددة ، وهي عبارة عن مجموعة من مستلزمات البرمجة أو البرامج الخاصة، ووسيلة لتجميع الوثائق معًا، مما يتيح لمستخدمي هذه الوسائط التجول عبر الشبكة، كما يتيح لهم أن يشاهدوا كل ما فيها بالصوت والصورة والفيديو، وهكذا لم تعد شبكة الإنترنت مجرد وسيلة لإرسال البريد الإلكتروني واستقباله ونقل البيانات عبر الشبكة، بل أصبحت مكانًا يعج بالناس والأفكار تستطيع زيارته والتجول في جنباته، وهو ما يسمى بالواقع الافتراضي «cyber space» وهذه الشبكة أضافت بعدًا جديدًا وهو التفاعل وليس مجرد بث معلومات «Morley & Robins ، 1995».

وتجدر الإشارة إلى ما يسمى « بخدمة ويب World Wide Web، وهي إحدى الخدمات المتاحة على شبكة الإنترنت، والتي تتيح لأي شخص أو أي جهة الاطِّلاع على معلومات تخص جهات أخرى، أو أشخاصًا آخرين قاموا بوضعها على هذه الخدمة؛

لإتاحتها للآخرين، وتحتوي هذه الصفحات على كلمات معينة يمكن بواسطتها الدخول إلى صفحات أخرى، وكل صفحة أو موقع على هذه الشبكة له عنوان خاص يتم الدخول على هذا الموقع بواسطته، وتسمى شبكة النسيج العالمي، أو الشبكة العنكبوتية، وتقوم فكرة الشبكة العنكبوتية على أسلوب تكنولوجي يعلق عليه النص المحوري «Hypertext»، وهذا النص يقوم بتنظيم البيانات، مما يساعد على استعادة هذا النوع من المعلومات «شاهين : 1996».

الفصل الثاني :

التأثير السلبي للبث المباشر

تمثل القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت أبرز أشكال العولمة الإعلامية ، فالحضارة المعاصرة هي حضارة الصورة المرئية بامتياز ، وليست حضارة الكلمة المكتوبة التي ألفناها وتعودنا عليها لمدد طويلة ، وفي سياق هذه الهجمة العالمية للقنوات الفضائية، يجد المواطن نفسه أمام عالم جديد يتفتت ، بديلًا عن توحده السابق مع القنوات المحلية / الوطنية .

ولقد شهدت المنطقة العربية تناميًا مطردًا في ظهور القنوات الفضائية، ولقد كانت لهذه القنوات تأثيرات مختلفة سلبية، جعلت الكثيرين يتخوفون من التأثيرات المحتملة لهذه القنوات ، وخصوصًا في الأجيال القادمة ، التي أصبحت هذه القنوات جزءًا لا يتجزأ من ممارساتهم الحياتية اليومية ، وأكثر ما يتخوف منه بعض المهتمين هنا هو تأثير هذه القنوات بما تحمله من برامج غربية في الأساس في بنية القيم والهوية في المجتمعات العربية ، فمما لا شك فيه أن البرامج المعروضة عبر هذه القنوات والتي يأتي الجزء الأكبر منها من المنتجات الغربية بعامة ، والأمريكية بخاصة ، يحمل معه التوجهات والقيم الغربية التي تكون في معظمها مخالفة للتوجهات والقيم العربية «عبد العظيم : 2007» ، فالعولمة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال لا يكرسان ، في نهاية المطاف ، إلا الفكر الواحد، والمعرفة الواحدة، والثقافة الواحدة ، ولا تهتم بالهويات

الثقافية والقيم الرمزية التي تنتجها الثقافات الأخرى ... إلا بالقدر الذي يخدم منطق الثقافة المهيمنة «أبو العينين : 2003، و حجازي : 1998، و اليحياوي : 2002» . فالعولمة تسعى إلى فرض نموذج ثقافي وحيد يشمل جميع أرجاء المعمورة ، وينشر التجانس بين البشر بغض النظر عن الاختلافات الفردية ، والعرقية ، والوطنية ، والدينية ، والثقافية «Robert ، 1992» ، والعولمة ، وبشكل خاص الإعلامية منها ، تسعى عبر أنشطتها الكونية ، إلى خلق نمط كوني واحد يقتدي به الجميع في سلوكياتهم وقيمهم ومحدداتهم المجتمعية ، فالهدف الذي ترمي إليه الأنشطة الإعلامية الكونية في النهاية يتمثل في وضع البشر في كل مكان ضمن إطار واحد ومحدد يشملهم جميعًا.

باختصار إن الشباب العربي تعرض لاحتلال واضح من ناحية التأثير ، مصدره خارجي، يتمثل في الثقافة الجديدة الوافدة عبر قنوات عديدة، ومنها وسائل الإعلام، وهي ثقافة تروج لقيم ومعايير اجتماعية وأنماط حياتية قد لا تتلاءم مع الواقع الاجتماعي ، ولها القدرة العالية على اختراق المنطقة وعقول الناس، ومنهم الشباب . وهذه القدرة تتجسد في أكثر من ظاهرة : تطور تكنولوجيا الأقمار الصناعية، وشيوع القنوات الفضائية الأجنبية وانتشارها ، المضمون المتقدم للمادة الأجنبية صناعة وفنًا وإثارة وتشويقًا ، والبعد العلمي للمادة الأجنبية من ناحية استثمارها للعلوم والمعارف وتحقيق فاعلية أكبر للعملية الإعلامية في النفس البشرية ، وجعلها أداة خطيرة للهيمنة والغزو الثقافي؛ لاختراق العقل البشري وتدميره .

في الجانب الآخر ، هناك ضغوطات الثقافة الوافدة ، وتأثيراتها الاجتماعية والنفسية والثقافية في الشباب ، والتي تحتل الأولوية في سلم عمليات التنشئة الاجتماعية في الوقت الحاضر ، وهناك « ثقافة التلفزيون » وما تحمله من قيم وأفكار وعقائد وتناقض مع الثقافة القديمة السائدة. والجدير بالذكر أن المحطات التلفزيونية العربية «الأرضية والفضائية» تسهم بشكل فعال مع القنوات الفضائية الأجنبية في نشر المادة الأجنبية ذات الطابع الثقافي الهابط التي لا تتلاءم مع الواقع

الاجتماعي، وتتعارض مع التنشئة الاجتماعية العربية ومقوماتها ، فهي تكرس صور الحياة الاستهلاكية، وتعرض مقومات الشخصية العربية والثقافية والقومية للتشويه والمسخ والاغتراب الحاد ، حيث تتسابق هذه المحطات العربية على إرضاء الجمهور العربي، وخاصة الشباب ، واجتذابه لها بأي صورة ، من خلال المواد الترفيهية، وعرض الأفلام والمسلسلات المليئة بالعنف والجريمة وقصص الحب والمغامرة العاطفية والإثارة .

بل إن بعض القنوات الفضائية العربية أصبحت أشبه «بنواد ليلية» تقدم لجمهورها أنواع فنون الإثارة الجسدية والغريزية وبمواصفات قد لا نجدها حتى في القنوات الأجنبية ، كما أنها لا تتورع عن تقديم أنواع من الأفلام الأجنبية الإباحية ، من دون اعتبارات للواقع الاجتماعي ومتطلباته .

ما يزيد القلق هو نتائج البحوث العربية «البياتي : 1991»، التي أجمعت على أن الإنتاج الأجنبي المستورد بشكل أكثر من نصف ما تبثه التلفزيونات العربية حيث تشكل المادة الترفيهية الجزء الأعظم من ساعات البث اليومي ، وقد قادت دراسة ميدانية أجرتها إدارة البحوث في اتحاد إذاعات الدول العربية «عدوان : 1996» إلى اكتشاف مفارقة رئيسة، وهي ما يمكن أن نسميها بجدلية الجذب والنفور والإقبال والحذر إزاء المادة التلفزيونية الأجنبية ، فهي برأي الشباب مؤثرة ومفيدة، ولكنها غير معبرة عن الواقع العربي ، وهي أداة تثقيفية وانفتاح على الآخر؛ للاطلاع على المعلومات ومواكبة العصر ، وهي لتغيير الواقع الاجتماعي ، وتغيير العلاقة بالأبناء «أي أسلوب التربية والتنشئة» وتغيير التصورات الاجتماعية ، وهي أيضًا مع ذلك ، لها تأثير في ترسيخ مفهوم الاستهلاك والفردية والحرمان والتبعية .

وبقدر ما تُعَدُّ ظاهرة الشباب عالمية بعلاقتها في ثقافة الصورة فإن الشباب والمراهقين الذين يشكلون وزنا ديمغرافيا مهما في المجتمع العربي ، يستمدون الكثير من أنماط السلوك والمثل والقيم من وسائل الإعلام الحديثة ، والتلفزيون خاصة ،

حيث أصبحت هذه الوسائل تنافس العائلة والمدرسة والنظم الاجتماعية .. إلخ في عمليات التنشئة الاجتماعية .

كانت خلاصة البحوث والدراسات بخصوص احتمالية تأثير التلفزيون في الانحراف تتجه إلى نتائج ذات طابع شمولي وغير مطلقة في أحكامها، ومن هذه النتائج:

1 - إن مشاهدة الأفلام لا تؤدي إلى خلق المجرم إلا من توافر لديه الاستعداد النفسي للإجرام أو الانحراف .

2 - إن العوامل المتداخلة مع وسائل الإعلام، مثل العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية، وكذلك المؤسسات الاجتماعية ، قد تشارك في عملية الانحراف، أي أن وسيلة الإعلام ليست وحدها تؤدي إلى الانحراف .

3 - إن هناك بعض الأفلام لها تأثير سلبي في تفكير الشباب، وفي التكوين الخلقي للمراهقين، مما يساعد على انحرافهم، وخاصة أولئك الذين لم ينالوا قسطًا وافرًا من التربية الفكرية «الجابر : 1986»

ومع ذلك يبقى التليفزيون الوسيلة الإعلامية التي هي أكثر تأثيرًا في الشباب، وأكثر احتمالا في عملية الانحراف الاجتماعي ، حيث أصبحت هذه الوسيلة متغيرًا اجتماعيًّا وثقافيًّا مهمًّا في حياة الطفل المراهق والشاب في المجتمع المعاصر .

لهذا فمن المتوقع مستقبلًا أن تنشأ مشكلات اجتماعية تأخذ أبعادًا واضحة في الحياة العربية، ويتأثر فيها الأطفال والمراهقون والشباب بنتائجها السلبية ،فمن المحتمل أن تخلق برامج الفضائيات الاضطراب الاجتماعي ، وعدم الاستقرار الاجتماعي ، وتعميق المشاعر الذاتية أكثر من الالتزام الجماعي ، ويضعف الولاء للمجتمع والوطن، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكية ، وتقويض أركان التماسك الاجتماعي ، وتعميق الإحساس بالاغتراب والهروب من التصدي لواقع الحياة ، وتوسيع الانبهار بالموديل الأجنبي ، وإشاعة مشاعر الاستسلام للواقع ، وتوطين العجز في النفوس ، وإضعاف الروابط الأسرية وقيمها ، وتعميق الانعزالية بين الشباب، وسحبهم إلى معارك ضارية

مع النظم الاجتماعية بدءًا من الأسرة وانتهاء بالدولة والأمة ، وإحجام الشباب عن ممارسة الأنشطة الإنتاجية والترويحية، والاكتفاء بالتعرض للتلفزيون ، واختلاف الجماعة على مجموعة من القيم والاتجاهات والمعايير ، والتأثير في مهارات الطفل المرتبطة بالمدرسة وفي الكفاية المعرفية بصورة عامة ، وازدياد السلوك الانحرافي والأمراض الاجتماعية .

لقيت دراسة التأثيرات الناشئة عن البث المباشر أهمية خاصة لدى دول منطقة الخليج العربي ، ويتضح ذلك على نحو خاص في دولة الإمارات العربية المتحدة ، وتبدت قيمة البحوث في أنها أجريت بشكل ميداني ، ولا يخفى أهمية نتائجها والتي تم الوصول إليها من خلال أكثر الفئات متابعة للبث المباشر، وهم شباب الجامعات .

وسنتعرض هنا إلى نتائج أحدث دراستين:

(**أولاً**) شملت الدراسة الأولى طلبة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا ، مقر الفجيرة ، حيث أجريت الدراسة على الطلاب الذكور والإناث «البياتي : 2006» وقد استهدفت هذه الدراسة ما يلي :

1 - معرفة العلاقة بين ثقافة الصورة المتلفزة وتأثيرها في ثقافة الشباب.

2 - الكشف عن نوعية الأفلام والبرامج التي يقبل الشباب على مشاهدتها.

3 - الفرق بين حجم الوقت الذي يقضيه الشباب في مشاهدة القنوات الفضائية وعلاقتها بالفراغ.

4 - هل هناك علاقة بين انحراف الشباب ومشاهدة التلفزيون؟.

5 - دور الأسرة والجماعات الاجتماعية في عملية التوجيه.

6 -علاقة سلوك الشاب بمشاهدة البرامج التليفزيونية من ناحية التقليد والمحاكاة.

أثبتت نتائج الدراسة ما يلي :

«أ» أغلب أسر المبحوثين تمتلك جهازين مرئيين ، وصلت النسبة إلى 54 % وإن نوعية الرؤوس الفضائية التي تمتلكها أسر المبحوثين هي عربية وأجنبية حيث بلغت

النسبة 51.5 % .

«ب» أظهرت الدراسة ما يتعلق بتقاليد المشاهدة، وذلك على النحو الآتي :

1 - إن معظم المبحوثين يقضون وقتًا طويلًا يوميًّا في مشاهدة التلفزيون، حيث بلغت النسبة 51.5 % ممن يشاهدون ثلاث ساعات وأكثر ، و72.5 % ممن يشاهدون ساعتين و 21 % ساعة واحدة .

2 - تبين أن مشاهدة التلفزيون من قبل الشباب يعود بالدرجة الأولى إلى عَدِّه وسيلة للتسلية بنسبة 43 %، وبوصفه أكثر وسيلة إعلامية مشوقة بنسبة 15.5 % وانخفضت النسبة إلى المرتبة الأخيرة بوصفه وسيلة للثقافة بنسبة 14 % .

3 - عَدَّ الشباب أن التلفزيون كان عاملًا أساسيًّا في تعميق معرفتهم بالعالم، وذلك بنسبة 96 %، ويرى الآخرون بنسبة 4 % عكس ذلك .

4 - احتلت برامج الأغاني والموسيقى المرتبة الأولى في اهتمام الشباب بنسبة 26 %، وجاءت البرامج الرياضية في المرتبة الثانية بنسبة 14 % ثم أفلام العنف والجريمة بنسبة 11.5 %، والبرامج الدينية بنسبة 10.5 %، ثم المسرحيات بنسبة 9.5 %، والبرامج الإخبارية بنسبة 4.5 %، وجاءت البرامج التربوية والثقافية في المرتبة الأخيرة ، بنسبة 4.5 % للبرامج الثقافية ، و 4 % للبرامج التربوية .

«ج» أظهرت الدراسة فيما يتعلق بالتأثيرات الاجتماعية والنفسية للتلفزيون ما يأتي :

1 - تأكيد الشباب أهمية التلفزيون في نمو ثقافتهم؛ حيث بلغت النسبة 79 % و21 % يعتقدون عكس ذلك .

2 - أكد معظم المبحوثين أن التلفزيون كان مصدرًا أساسيا وعاملًا مهمًّا في حواراتهم الثقافية والاجتماعية مع الآخرين بنسبة 64.5 %، و 35.5 % من المبحوثين لا يعتقدون ذلك .

3 - يتفق معظم المبحوثين بدور التلفزيون عليهم من خلال زيادة فهمهم للمشكلات

الاجتماعية الموجودة في مجتمعاتهم، ونسبتهم 84 % ، وترى النسبة الباقية 16 % عدم وجود دور للتلفزيون في تعميق وعيهم إزاء المشكلات الاجتماعية .

4 - يتفق معظم المبحوثين على أن التلفزيون يُسْهم في إضعاف القيم الاجتماعية .

5 - هناك تقارب في النسبة بين المبحوثين وموقفهم من دور التلفزيون في إضعاف العلاقات الأسرية، فهناك من يعتقد عدم وجود تأثير مباشر في إضعاف العلاقات الأسرية، ونسبتهم 57.5 %، ويرى بعضهم الآخر وجود علاقة قوية بين مشاهدة التلفزيون وإضعاف العلاقات الأسرية، ونسبتهم 42.5 % .

6 - هناك تقارب كبير في النسبة بين المبحوثين وموقفهم من التلفزيون والأسرة فيما يتعلق بأيهما أكثر تأثيرًا في الآخر، حيث كانت النسبة 51 % ممن يعتقدون دور الأسرة في التأثير أكثر من التلفزيون ، و 49 % تعتقد تراجع قوة تأثير الأسرة لصالح التلفزيون .

7 - أجمع معظم المبحوثين على تأثير التلفزيون في عاداتهم وقيمهم بنسبة 66 %، ويرى بعضهم ونسبتهم 34 % عدم وجود تأثير في العادات والقيم التي يحملونها.

8 - أكد معظم المبحوثين وجود علاقة قوية بين التلفزيون ومضاره من ناحية انتشار الجريمة والعنف وشيوع الرذيلة والكسل والتراخي بنسبة 59 % ، حيث بلغت نسبة مضار التلفزيون في انتشار الجريمة والعنف بنسبة 3 %، والكسل والتراخي بنسبة 14 % ، وشيوع الرذيلة بنسبة 2 % .

9 - ازدياد واضح في الجانب الاستهلاكي ، حيث كان للأفلام والإعلانات الدور البارز في زيادة ثقافة الاستهلاك ، وما سببته هذه الظاهرة من ظهور مشكلات اجتماعية واقتصادية ونفسية للشبـــاب وأسرهم ، حيث بلغت نسبة المبحوثين 80 % ممن يعتقدون تأثير التلفزيون فيهم في هذا الجانب ، ويرى 20 % عدم وجود علاقة بين التلفزيون والتشجيع على الاستهلاك .

10 - اتفق معظم الشباب على وجود تأثير واضح للتلفزيون في حياتهم الاجتماعية

والنفسية من خلال التأثير في المستوى الدراسي، وزيادة القلق والتوتر والشعور بالإحباط، وكانت الإجابة عن «جميعها» بنسبة 50 %، ثم جاء عامل التأثير في المستوى الدراسي بنسبة 38 %، والقلق والتوتر 9.5 %، والشعور بالإحباط 2.5 %.

11 - أشار معظم المبحوثين إلى تأثرهم بثقافة التلفزيون من ناحية الموضة في الأزياء والإكسسوار، وقص الشعر، وتقليد النجوم من ناحية السلوك، وطريقة الكلام والألفاظ المتداولة في التلفزيون، كانت الإجابة عن «جميعها» بنسبة 55.5 % ثم يأتي التأثر بالموضة بالمرتبة الثانية بنسبة 26.5 % بتقليد النجوم، و 8.5 % لطريقة الكلام والألفاظ.

(ثانيًا) استهدفت الدراسة الثانية معرفة التأثيرات المختلفة المرتبطة بمشاهدة القنوات الفضائية في المشاهد العربي، وذلك من خلال التطبيق الميداني على عينة من طلبة جامعة الإمارات «عبد العظيم : 2007»، وحيث طرحت مجموعة من التساؤلات حول ما يلي :

- ما دوافع تركيب الأطباق اللاقطة، والاعتماد على القنوات الفضائية ؟
- هل يفضل المشاهد القنوات الفضائية العربية أو الأجنبية أو كليهما ؟ وما أسباب ذلك التفضيل ؟
- ما نوعية البرامج المفضلة لدى المشاهد ؟
- ما التأثيرات الإيجابية والسلبية المصاحبة لمشاهدة القنوات الفضائية ؟

أكدت نسبة كبيرة من إجمالي العينة أن البث التلفزيوني المباشر يمثل غزوًا ثقافيًّا بنسبة 38.2 %، وهي نسبة كبيرة إذا ما قورنت بمن أكدوا أن هذا البث يمثل انفتاحًا حضاريًّا، حيث جاءت النسبة بما يعادل 9.7 % .

- أسباب كون مشاهدة القنوات الفضائية تمثل غزوًا ثقافيًّا ، جاء تنافي الكثير من البرامج التي تقدمها هذه القنوات مع العادات والتقاليد العربية والإسلامية في المرتبة الأولى بما نسبته 27.1 % من إجمالي استجابات العينة ، يلي ذلك تأكيد الدور الكبير

الذي تؤديه مشاهدة هذه القنوات في إعادة صياغة العقل العربي في ضوء الأفكار الغربية والأمريكية بما نسبته 20.5 % . وغير بعيد عن ذلك ، اختيار المبحوثين لمتغير تكريس تبعية العقل العربي للآخر الغربي بنسبة 18.6 %، وهذا يعني أن ما إجماله 66.2 % من جملة استجابات العينة قد عبر عن مدى ما يمكن أن تؤديه مشاهدة هذه القنوات ، بشكل مباشر ، نحو تهديد البنيات الأخلاقية ، والدينية ، والعقلية ، والتوجهات الاستقلالية ، جاءت المتغيرات الخاصة بتركيز هذه القنوات على الأفلام والمسلسلات الأجنبية ، وعدم تركيزها على المشكلات العربية ، وتجزئتها المشاهد العربي بين اللهجات والأفكار المختلفة بما نسبته 19.0 %، و14.3 % ، و14.1 % على التوالي .

- الآثار السلبية الناجمة عن مشاهد القنوات الفضائية ، جاءت الاستجابات الخاصة بالآثار السلبية الناجمة عن مشاهدة القنوات الفضائية ، متشابهة مع الاستجابات المرتبطة بكون مشاهدة القنوات الفضائية تمثل غزوًا ثقافيًّا ، على الأقل في الجانب الخاص بالتأثيرات الأخلاقية ، وفي ضوء ذلك ، جاء المتغيران إبراز المرأة بشكل يتنافى مع عاداتنا وقيمنا العربية ، وهدر الأخلاق والعادات والتقاليد في المرتبتين الأوليين بما نسبته 18.0 % ، و17.9 % على التوالي ، وربما تتناسب هذه النسب مع الصورة المقدمة للمرأة في معظم القنوات الفضائية حيث التركيز على الجسد ومفاتنه بشكل كبير ، سواء من خلال صور المذيعات ، أم من خلال مأساة الفيديو كليب ، والتي يعرض من خلالها شكلًا جديدًا من أشكال الدعارة المقنعة ، تحت ادعاءات وشعارات الأغنية الشبابية الحديثة .

يلي ذلك متغير اكتساب الأطفال لقيم العنف بما نسبته 16.3 % من إجمالي الاستجابات ، ثم جاءت في المراكز التالية المتغيرات فقدان الذات والهوية ، وسيادة القبول بالنماذج التي تعرضها القنوات الفضائية، ودعم العادات الاستهلاكية ، والانكفاء على الذات، وسيادة العزلة والتبلد والجمود ، وأخيرا ضعف الفكر النقدي

بما نسبته : 9.0 % ، 8.6 % ، 7.4 % ، 7.1 % ، 5.3 % على التوالي .

ويمكن القول ، في ضوء نتائج الدراسة ، بأن هناك إقبالاً متزايدا من الأجيال الجديدة على مشاهدة القنوات الفضائية ، وهو الأمر الذي يؤكد التعاظم المنتظر للتأثيرات التي يمكن أن تمارسها هذه القنوات الفضائية في القريب العاجل، والدور الذي سوف تؤديه في تشكل هذه الأجيال ، وتحديد توجهاتها ، لقد كشفت الدراسة، عن إقبال كبير من جانب عينة البحث على مشاهدة القنوات الفضائية ، العربية منها أو الأجنبية ، ولا تكمن المشكلة هنا في التوجه نحو مشاهدة هذه القنوات، بقدر ما تكمن في طبيعة المادة المقدمة من قبل هذه القنوات ، والتي أضحت من جانب آخر المادة التي يبحث عنها المشاهد ، فالمواد الترفيهية مثلث النسبة الكبرى التي يشاهدها المشاهدون ، مثل الأفلام والمسلسلات والأغاني ، بالإضافة إلى برامج المنوعات الخفيفة ، وخطورة هذه البرامج التي يعتادها المشاهدون أنها تأتي محملة بمضامين لا تتناسب مع طبيعة البنيات العربية ، بقدر ما تتناسب مع طبيعة القائمين على هذه القنوات وتوجهاتهم، كما أن معظم هذه البرامج موجه في الأساس نحو الشريحة العمرية الشابة من المجتمعات العربية ، مما يعني ضمنًا أن المعروض من هذه القنوات يهدف في الأساس إلى خلق خطاب مقبول بين شباب الحاضر ، بغية التحكم في زمام المستقبل.

وعلى رغم نسب الاستجابات الكبيرة التي تؤكد مشاهدة هذه القنوات من قبل أفراد العينة، فإن الهاجس الأخلاقي عبر عن نفسه من خلال تعاظم الاستجابات التي أكدت تعارض هذه القنوات مع الأخلاقيات والعادات الإسلامية ، ويمكن القول هنا، إن هذا الرفض قد جاء من منظور ديني أخلاقي بحت ، بدون أن يعكس فهمًا حقيقيًّا لأبعاد القنوات الفضائية ومخاطرها.

ولقد جاءت قلة القنوات المحلية ، وضعف البرامج المقدمة من خلالها ، على قائمة الأسباب التي دفعت بالمشاهد العربي نحو متابعة القنوات الفضائية العربية، فمن

الحصار السياسي والأيدلوجي الذي مارسته القنوات المحلية / الوطنية على المشاهد لفترات امتدت إلى ما يناهز العقود الثلاثة ، إلى حصار الترفيه والتسفيه العقلي الذي تمارسه القنوات الفضائية العربية المعاصرة ، وجد المشاهد العربي نفسه مدفوعًا إلى خطاب أخلاقي ديني قد ينقذه من براثن السياسة ، وجنوح الترفيه ، ولعل ذلك يتضح من خلال التعارض الواضح بين تأكيد أفراد العينة مشاهدة القنوات الفضائية من ناحية ، وبين توجهاتهم التي تطرح خوفًا شديدًا من تأثيراتها الدينية والأخلاقية من ناحية أخرى . ويمكن القول ، بأنه كلما زادت المشاهدة، زادت حدة استدعاء الخطاب الديني والأخلاقي ، والمسألة هنا لا ترتبط بالدين والأخلاقيات في حد ذاتها، بقدر ما ترتبط بالتشبث بميكانيزم دفاعي يضمن قدرًا ما من الاتساق النفسي الاجتماعي «Cunningham& Jacka , 1994»

ولقد كشفت الدراسة عن التفضيل الكبير لمشاهدة القنوات الفضائية العربية على حساب الأجنبية منها ، وربما يرجع ذلك ، إلى طبيعة لغتها المفهومة من جانب جمهور المشاهدين ، وإلى ارتباطها النسبي بالعادات والتقاليد العربية ، وعلى رغم ذلك ، فإن الملاحظ أن الكثير من هذه القنوت الفضائية العربية تقترب ، بشكل كبير ، سواء على مستوى الشكل ، أو على مستوى المضمون ، من القنوات الفضائية الأجنبية ، الأمر الذي أدى بكثير من أفراد العينة إلى ذكر بعض القنوات الفضائية العربية على أنها قنوات أجنبية ، ولعل ذلك ينبىء بتحول الكثير والكثير من جمهور المشاهدين نحو القنوات الفضائية الأجنبية، وبتحول المزيد والمزيد من القنوات الفضائية العربية ، سواء على مستوى الشكل أو المضمون نحو تقليد القنوات الفضائية الأجنبية – Martin Barbero , 1995.

وعلى الرغم من ارتباط نسبة لا بأس بها من المشاهدين بالبرامج السياسية والدينية والثقافية ، فإن الدراسة قد بينت أن الارتباط بالبرامج الترفيهية قد جاء على قائمة أولويات المشاهد العربي ، ولعل ما يكشف عن خطورة هذا التوجه ، أن

عينة الدراسة هي من طلاب الجامعة ، المفترض فيهم القدرات الفكرية العليا، مقارنة بغيرهم من الشرائح الاجتماعية التي هي أقل تعليمًا وتثقيفًا، ولنا هنا أن نتصور ما هي الحال بين الفئات والشرائح الاجتماعية الأخرى ، وترتبط البرامج الترفيهية بسيادة نماذج عامة ، تلقي بشباكها على الفئات العمرية التي هي أصغر سنًّا، حيث تنتشر الموسيقى الغربية، وأغاني الفيديو كليب الفاضحة ، تحت دعاوى الفن الحديث وصرعات الموضات العالمية ، وفي كل ذلك ، تتشح هذه الدعوات بمسوح تلاشي الحواجز وانفتاح الحدود وانتقال الأفكار وتلاحقها Reiff , 1993 ; Stephens 1993 ; Radcliffe 1998.

مما لا شك فيه أن ساعات الإعلان الطويلة ، التي تبث من خلال القنوات الفضائية تؤثر في عادات المشاهد وسلوكياته الاستهلاكية ، وفي ظل التحولات الاقتصادية التي تمر بها المجتمعات العربية بشكل كبير منذ ما يربو على العقدين ، مثل الخصخصة والتكيف الهيكلي، فإنه يتم دعم هذه النزعات الاستهلاكية ومباركتها، حيث لا تنفصل ممارسات السياسات الاقتصادية عن مثيلتها الإعلامية، وخطورة هذه السياسات الإعلانية أنها تحيل المشاهد إلى متلق لما يطرح عليه من سلع ، فإن استطاع الاستهلاك، كان بها، وإن لم يستطع ، فإما الإحباط والتوتر، وإما المزيد والمزيد من الارتماء في أحضان مشاهدة هذه الإعلانات ونماذج الفاتنات العاريات اللاتي أصبحن جزءًا من الإعلان عن أية سلعة على شاشات القنوات الفضائية .

الفصل الثالث

البث المباشر كعامل مهيِّىء لارتكاب الجريمة

العوامل المهيئة أو المساعدة على ارتكاب الجريمة ، ينظمها شراح علم الإجرام في قسمين ، القسم الأول : عوامل داخلية ، وهذه ترتبط بالجنس ، والسن ، وتناول الخمور أو تعاطي المخدرات وبعض الأمراض وخلل في الإفرازات الداخلية للغدد ، والانفعال والعاطفة ، والإيحاء الذاتي، كل هذا يدرس ضمن بحوث علم طبائع المجرم.

والقسم الثاني : عوامل خارجية كما في الجو وظروف المناخ ، والغذاء ، والمسكن ، وحالة الأسرة، وسير الدراسة ، والمعتقدات السائدة ، والأمية أو التعليم ، والحالة الاقتصادية ، الطبقة الاجتماعية ، ودرجة الحضارة ، ونوع المعيشة والصحف والسينما والمسرح، وهذه الموضوعات ينقطع لدراستها علم الاجتماع الجنائي «بهنام : 1982».

يدرس تأثير البث الفضائي المباشر ضمن العوامل الخارجية المهيئة لارتكاب الجريمة ، وذلك قياسًا على تأثير صور وعروض الصحف والسينما والمسرح ، مع ملاحظة شدة التأثير وفعاليته، نظرًا لما تتميز به عروض البث الفضائي من تنوع أخاذ بفعل التقنية عالية الجودة الممزوجة بجل التكنولوجيات فائقة التطور ، وبرامجها وعروضها المحكومة بسياسات العولمة وأبعادها الثقافية والفكرية .

صلة السلوك الإجرامي بمشاهد البث المباشر

كثيرًا ما يثار موضوع صلة السلوك الإجرامي بالاطلاع على أخبار الجرائم في الصحف والمطبوعات ومشاهدة أفلام الشاشة المبتذلة؛ لما عرف عن الإنسان من ميل فطري إلى تقليد الآخرين ، وإلى احتمال خضوعه للإيحاء المستمر من الإطلاع على مشاهد الجريمة عن طريق الصحافة أو الشاشة .

والأمر الراجح هو أن الاطلاع على مشاهد الجريمة لا يكفي وحده لصناعة الحدث الجانح ، ومن باب أولى الإنسان المجرم ، ما لم يتوافر ابتداء الاستعداد الإجرامي ، وكذلك سائر العوامل الأخرى المهيئة للإجرام سواء أكانت مستمدة من الأسرة ، أم من الوسط الاجتماعي ، أم من الحالة النفسية ، أم العقلية ـ الروحية «عبيد : 1981».

وعلى أية حال فمن الراجح أن تأثير الشاشة والتلفزيون والكتب الضارة أشد من تأثير الصحيفة ، وذلك بالنظر إلى وضوحها بدرجة أعظم من الصحيفة مما يجعلها أقوى مفعولا في إثارة العاطفة، ويلاحظ أن بحوثا باكرة ـ على شيء من الجودة ولو أنها ليست قاطعة تمامًا ـ بينت على الأقل بعض تأثيرات الشاشة البيضاء المحتملة

في نماذج السلوك ، ولو أنها فيما يظن قد بالغت في تقدير التأثير الكلي . والتلفزيون وغيره من الوسائط يوجه إلى الجريمة بصفة غير مباشرة عن طريق عرض القيم التي تورث الجريمة أو السلوك غير الاجتماعي الذي قد يوجد في الثقافة العامة ، والاتجاه نحو العنف أكثر مما يكون عن طريق التأثير المباشر لموضوعات الجريمة ذاتها «Taft 1950».

وفي هذا الصدد كما بينت إحدى الدراسات أن بعض الأشخاص يميل بفطرته إلى العنف والعدوان ، وأن عرض مشاهد الجريمة على هذه الفئة من شأنه أن يوقظ لديها هذه الفطرة، ويساعدها على الانطلاق ، حتى ولو كان عرض مشهد من الجريمة مصحوبا بانتصار العدالة وهزيمة المجرم ، كما هي الحال غالبًا في روايات الشاشة.

كشفت دراسة أخرى أن السينما لا تلعب دورًا محسوسًا كعامل دافع إلى الإجرام ، بل لا تخرج عن كونها عاملا كاشفا فحسب ، وأن إقبال بعض الأحداث على روايات الجريمة والعنف قد يكون من أعراض الحالة النفسية التي تهيمن على صاحبها وليست سببا لها « De Greeff , 1945 ».

في دراسة أثر السينما في سبعمائة من تلاميذ المدارس يرتادون السينما أكثر من غيرهم ، وفي سبعمائة آخرين يرتادونها أقل من غيرهم . مع دراسة الاتجاهات ومناحي السلوك المختلفة لكل من الفريقين إزاء مواقف وظروف متعددة تبين أنه لا يوجد اختلاف يذكر بين 90 % من أفراد الفريقين .

بيد أنه ثبت في دراسة تالية أنه من الناحية الجنسية تبين من بحث حالة 252 فتاة ضالة تتراوح أعمارهن بين 14، و16 سنة أن 25 % منهن اتجهن إلى العلاقات المحرمة نتيجة الإثارة الانفعالية لقصص الحب العنيف على الشاشة ، وأن 38 % منهن اعترفن بأن الشاشة شجعتهن على الاندفاع في الغواية « Neumeyer , 1953 » وهذه الأرقام محدودة الدلالة، وينبغي أن تقابل بحذر شديد؛ لأنه من المتصور بسهولة أن تكون أقوال الفتيات الضالات مجرد ذريعة؛ للتنصل من المسئولية وإلقائها على

غيرهن، وهي ظاهرة شائعة لدى الأحداث خصوصا في الجرائم الجنسية .

والمحقق أنه لا يمكن أن ينكر أن الحدث يتأثر بخاصة بالصورة السينمائية التي تفرض نفسها عليه فرضا ، وهي في حد ذاتها مثير قوي تزيد خطورته بموجب ظروف العرض بالذات : من إظلام الصالة ، وعزل المشاهد ، ونصوع الشاشة، والإيقاع الموسيقي المصاحب للعرض .

وينبغي علينا أن نستنبط من ذلك أن الحدث، وقد وضع في حال قريب من التنويم المغناطيسي، هل يمضي في الأيام اللاحقة على العرض إلى ترجمة صور الشاشة، إن كانت تعبر عن العنف والسرقة والأمور الجنسية، إلى أفعال الجريمة ؟ قلما سجل العلماء هذا التأثير للسينما ، وقد لاحظوا كثيرًا في حالات مرضى تعدهم نقائصهم الخلقية أو العقلية للتأثر والاستهواء بالصورة « عبيد : 1981 ».

الإيحاء الذاتي بفكرة الجريمة

كبير هو تأثير الصحف والسينما والمسرح في الأفراد لاسيما الأحداث منهم ، وذلك عن طريق الإيحاء الذاتي ، هذا الإيحاء معناه أن تساور نفس المرء فكرة قابلة لأن تباشر نفوذًا قويًّا على حالة ذهنه وعلى طريقة سلوكه ، وبدهي أن صغار السن أكثر عرضة لذلك الإيحاء وأسهل تأثرا به ، إذ ليس لديهم من ملكة النقد ونضوج الذهن ما يمكنهم من وزن الفكرة تمهيدًا لدحضها واستبعادها ، كما أن مجال الإيحاء واسع كذلك بين من يكون من كبار السن مصابا بوجوه ضعف، أو عيوب نفسية « بهنام : 1982 ».

على أن المؤثر الخارجي في الصحف والسينما سواء أكان كلاما يسمع أم كتابا يقرأ أو منظرًا يرى ، لا يكون مصدر إيحاء ذاتي إلا لدى من يكون من الأفراد على استعداد لاستساغته وقبوله ، ومن ثم فلا يحدث صدًى إلا في النفس التي يصادف الإيحاء الذاتي لا يتوقف على المؤثر الخارجي من تعبير أو مشهد يعاينه الفرد فحسب، وإنما على التكوين الداخلي للفرد نفسه وما يسوده من ميول ورغبات، أو ما يغلب عليه

من ضعف ذهني؛ لأن هذا التكوين هو الذي تقوم عليه قابلية خضوع الفرد لذلك المؤثر، والمراد من إيضاح هذه الحقيقة هو الرد على الزعم القائل بأن الجريمة ترجع إلى المؤثرات الاجتماعية الخارجية وحدها دون أن يكون لتكوين الفرد فيها نصيب ، فالواقع أن تلك المؤثرات تأتي في المكان الثاني من الأهمية بالنسبة إلى هذا التكوين الذي له المكان الأول ، ويتفرع من ذلك أن المؤثر الخارجي لا يحدث فعله فحسب في بعض الأفراد دون بعضهم الآخر، وإنما تتفاوت درجة مفعوله في ذات الأفراد المتأثرين به تبعًا لاختلاف الواحد منهم عن الآخر في تكوينه .

بعد هذه الملاحظة الأولية نبين فيما يلي كيف تكون الصحافة والسينما والمسرح مصدرًا للإيحاء الذاتي بفكرة الجريمة؟ فهذا الإيحاء يتخذ صورًا ثلاثًا :

1 - إيحاء قائم على انحراف في التصوير الخلقي ، إما بإعطاء الجريمة مظهر الفعل العادل الحق على نحو يضفي عليها صبغة الكفاح الاجتماعي الجائز مع إلباس المجرم ثوب من ينتصف لعدالة مسلوبة، أو من يأتي عملًا من أعمال البطولة ، وإما بوصف المجرم شخصًا ظريفًا في بعض نواحي سلوكه، أو شخصًا طريفًا معذورًا بالنظر إلى أحوال نفسية شاذة، لا يد له في مقاومة دفعها إياه إلى الجريمة ، وإما بإظهار ما يصيبه المجرم باستمرار من مغانم سهلة تتاح له لمجرد ما يشاع عنه من سطوة يخشى منها ، وما يناله من حظوة وسحر لدى النساء، وما يصل إلى يده من ثروات نظير الخروج على القانون « بهنام : 1982 ».

2 - إيحاء قائم على هيام عاطفي بالشهرة ، وينشأ من النشر عن الجريمة، أو الفضيحة، أو فعل الانتحار على نحو واسع النطاق من الإذاعة يسول لبعض من يسودهم الغرور إتيان ذات الفعل المنشور عنه؛ للظفر بمثل الشهرة التي أتيحت لفاعله.

3 - إيحاء قائم على معرفة فن التنفيذ ، وينشأ من الوقوف على أسلوب تنفيذ الجريمة، وعلى كيفية إخفاء أمرها عن السلطات، وكونها افتضحت لمجرد الصدفة أو لعدم تحرز من الجاني ، الأمر الذي يفتح ذهن من لديه استعداد للجريمة؛ إذ يفطن

إلى احتمال إفلاته من قبضة القانون حين ينفذها بأسلوب أكثر إحكامًا، فتضعف في نفسه الرهبة من القانون، ويصير أكثر إقداما .

ومما يستدعي النظر في هذا الصدد الأثر الذي يحدثه ذيوع أخبار الانتحار عن طريق الصحافة أو السينما، وذلك للصلة الوثيقة بين الانتحار كاعتداء على النفس والقتل كاعتداء على غيره، فتدل الإحصاءات على أن أفعال الانتحار تفوق في النسبة العددية أفعال القتل، كما أنه بتحليل الانتحار يتبين أنه بمنزلة تعديل لمحل الاعتداء يجعله نفس المنتحر عوضًا عن آخر يكون المقصود بالانتحار الانتقام أو التشفي منه فالمنتحر يقتص من نفسه عن ذنب غيره عوضًا عن الاقتصاص من هذا الغير ذاته ، ولما كان الذيوع مكفولا على نطاق واسع من النشر لكل فعل يحدث من أفعال الانتحار، فإن استيقان المفكر في الانتحار من أن العلانية ستحيط بفعلته وببواعثها وأسبابها، وستقيم من جمهور الناس عددًا ضخمًا من قضاة يصدرون حكمهم في الواقعة حين يقفون عليها، ومن بينهم ذات الشخص أو الأشخاص المنسوب إليهم من جانبه السبب الدافع إلى الانتحار أمر يشجعه على المضي في تحقيق فكرته، ويدفع به إلى وضعها موضع التنفيذ .

تلك الصور السابق بيانها من الإيحاء الذاتي تنجم عن الصحافة والسينما والمسرح في نفوس جميع الأفراد الذين تكوينهم مهيأ لها ، غير أن تولدها في نفوس النشء والشباب أكثر وقوعًا وأفضل أثرًا ، ذلك لأن السن غير الناضجة تتميز بضعف ملكة النقد أو انعدامها، وبإفراط في الأحاسيس وسهولة في التأثر ، وتربة نفسانية لم يرسخ فيها بعد غرس الوازع الخلقي ، وميل إلى الانغماس في خيال خصب غير واقعي ، واستعداد للمغامرة يدعمه غرور مسيطر ، وهذه كلها أمور تيسر نشأة الإيحاء الذاتي بأفعال العنف، أو الفسق، أو الإجرام، أو الانتحار، والوقوع ضحية لهذا الإيحاء سواء أكان مرجعه مقروءات أم مسموعات أم مرئيات .

حدث يوما في إيطاليا أن أصبحت الكتب الصغيرة المتداولة بين أيدي الأحداث

والصبيان يدور كل أقاصيصها أو جلُّها على طعنات وسيوف وبنادق وقنابل ومشاهد دم وموت ، فضج رجال التربية بالشكوى من تلك المطبوعات التي يخيل للصبي معها أن الحياة لا تعدو أن تكون اعتداء أو كدمات أو جرحا أو قتلا ، ويزيد من خطورة المطبوعات في نشأة الإيحاء الذاتي منها ، أن تكون معززة بصور إلى جانب السرد الكلامي؛ لأن الصورة أكثر قابلية للرسوخ في الذهن من الكلمات ، وأكثر من الكلام إثارة للإيحاء الذاتي ، وتكون الصورة بالبداهة أقوى تأثيرا حين تكون متحركة لا ثابتة ، وهي كذلك في السينما التي لو أحصت أفلامها لتبين أن هذه الأفلام في ثلثها على الأقل تدور حول أفعال إجرام أو انتحار «بهنام : 1982».

وليس المراد مما تقدم إنكار ناحية العبرة أو الموعظة الحسنة التي لا يخلو منها كل عرض سينمائي، وتكون بمنزلة الغاية المنشودة منه ، فهذه الناحية قائمة متوافرة دون شك ، غير أنها لا تنفي طابعًا يسود معظم الأفلام، وهو كونها تبرز الواقع بحلوه ومره، وتخاطب في الإنسان غالبًا ميولا دفينة بدائية في طبيعته في حين تصور الناحية المريرة الشريرة من الواقع الفعلي ، وهذا الأسلوب تمر معه الغاية الخلقية المنشودة غير ملحوظة ، فلا يفطن إلى هذه الغاية إلا من كان من المتفرجين على قدر كاف من الذكاء؛ لأنه على الأقل في سن ناضجة، بل إنه حتى حين يفطن المتفرج إلى الغاية المقصودة من الفيلم فإنه كثيرًا ما تعلق منه في مخيلته غير المواقف والصور الأخاذة في ذاتها بصرف النظر عن سمو تلك الغاية ، وكثيراً ما تكون هذه المواقف والصور أقوى تعبير عن أمور تصادف هو لدى المتفرج لتغذيتها فيه ميولا باطنية غير متسامية، أيا كان نوعها ، وهذا ما يسوق صغار السن على الأخص ، إلى أن يتمثلوا دومًا في مخيلتهم تلك المواقف والصور معجبين بأبطالها وممثليها راغبين في التشبه بهم واحتذاء طريقهم ، الأمر الذي يصل أحيانًا إلى حد الحلم بهم ، ومن ثَمَّ تدفعهم الرغبة في تقليدهم إلى أن يكرروا في واقع الحياة ما سبق أن ملك لهم من مشاهد لم تتحقق إلا على الشاشة « Singer & Dorothy , 1983 ».

من منظور البث المباشر عامل مساعد على الإجرام ، فإن تأثيره لا يمتد سوى لمن يكون فيهم على تكوين إجرامي أو استعداد لإجرام الصدفة ، كبيرًا كان في السن أو صغيرًا، فتبدو خطورة تلك العوامل إذن حين تنبه وتحرك مفعول تكوين أو استعداد إجرامي كامن؛ إذ لا تؤدي بمفردها إلى الجريمة « بهنام : 1982 ».

التفاعل المفضي إلى جرائم العنف

العنف ظاهرة إنسانية عامة ، تتنوع دوافعه ووسائله وأشكاله مع تمايز الأفراد والجماعات، وتختلف حدته باختلاف المفاهيم التربوية والخلقية ودرجات التعبئة النفسية، وتتصاعد وتيرته مع تأزم الأوضاع، وتوتر العلاقات، واختلال التوازن «القادري : 1994 ».

والعنف قوة مدمرة يلجأ إليها فرد أو جماعة مستخدمًا كل الوسائل المتوافرة لديه بقصد إخضاع أو استبعاد أو إبادة فرد آخر أو جماعة أخرى أو بقصد قصر الذات وتعذيبها وقتلها . العنف ليس غاية في حد ذاته، ولكنه وسيلة لغاية وطريق لهدف. وكما تتعدد الغايات والأهداف تتعدد الوسائل والطرق ... هناك عنف القويّ الذي يملك الإمكانات والوسائل المتطورة، وغايته الإخضاع والتوسع والسيطرة والإلحاق ، وهذا النوع من العنف غالبًا ما يكون منظمًا ومبرمجًا يحمل طابع الهجوم والعدوانية، ينفذ أحيانًا بوسائل مكشوفة، وأحيانًا أخرى بدبلوماسية مستترة ومنومة خفية ، مقنعة بأغطية الشرعية والحق والقانون ، وهناك عنف الضعيف الذي يتميز بشكله العفوي ومظهره الفوضوي، والذي ينفذ بوسائل بسيطة وطرق بدائية مفتقرًا إلى الكثير من أشكال التغطية الحقوقية والإعلامية ، وهذا النوع من العنف يأتي كرد فعل على السيطرة، وغايته الدفاع عن النفس وحظ الذات، وهدفه التحرر والاستقلال .

للتلفاز - بحكم انتشاره - الدور الأعظم في تغذية ظاهرة العنف ، ويأخذ العنف وجوهًا عديدة وأشكالًا مختلفة بحسب تباين المجتمعات ، وعلى نحو خاص نلقي الضوء على نتائج دراسات أجريت في أمريكا ، فمنذ سنوات والعنف يقلق المجتمع الأمريكي ،

ولقد حاول المختصون بهذه الظاهرة تحليل أسبابها ودوافعها ، ففي عام 1961 برهن الباحثون في جامعة كاليفورنيا على تأثير الصورة المشاهدة في سلوك الأطفال، وذلك بواسطة قيامهم بعرض فيلم على الأطفال ، يقوم فيه رجل بالاعتداء على لعبة ، وتم إعطاء الأولاد لعبة مماثلة، ومشاهدة رد فعلهم عليها فكانت مماثلة تمامًا لما شاهدوه في الفيلم ، وفي عام 1981 قام أحد علماء النفس في أمريكا بدراسة تأثير أفلام العنف في مجموعة من الشبان الجانحين من أمريكا وبلجيكا حيث عرض على قسم منهم أفلاما عنيفة، وعلى القسم الآخر أفلاما محايدة، وقد ظهر عند المجموعة الأولى ازدياد في العدوانية والشراسة عما هو الحال عند المجموعة الثانية ، وفي عام 1978 أجرى الباحثون إحصاء لـ 1565 مراهقٍ تبين من خلاله أن مرتكبي الحوادث الخطرة هم من بين مستهلكي أفلام العنف ، وفي عام 1985 برهن باحث آخر من علماء النفس في أمريكا ، بعد تجربة أجراها على 100 طفل من جنسيات مختلفة ، بأن أفلام العنف تزيد من عدوانية الأطفال بغض النظر عن أصلهم العرقي ، وكذلك أظهرت بعض الإحصاءات أن حوادث القتل في الولايات المتحدة وكندا ازدادت بنسبة 93 % منذ انتشار التلفاز سنة 1950 وحتى الآن .

فلقد احتل التلفاز مكان الكتاب كوسيلة من وسائل الثقافة والترفيه لدى الأطفال والعديد من عامة الناس ، وتعلق الأطفال بتلك الشاشة الصغيرة التي تنقل إليهم بالصوت والصورة والألوان ما هو حقيقي وواقعي وما هو وهمي وخيالي ، وأضحى النظر إلى الشاشة بمنزلة سياحة ممتعة تنقل إلى الإنسان كل أماكن العالم وأحداثه وأسراره ومخلوقاته .. أصبح التلفاز خصوصًا في البلاد الصناعية - ضرورة من ضرورات العصر ، وجزءًا مهمًّا من تجهيزات المنزل ، إذ يأتي في المرتبة الثانية بعد البراد ، فالعائلة تتناول العشاء وهي تشاهد التلفاز ، والأطفال يستيقظون ويلبسون ثيابهم، ويتناولون فطروهم، وأعينهم مسمرة إلى الشاشة ، ويغادرون المنزل حاملين في مخيلتهم كل ما اختزنوه من مشاهد وصور وأحداث علقت في رؤوسهم ، وفي كل عام

يمضي الأطفال ، في البلاد الغربية ، أمام التلفاز ، وقتًا يعادل الوقت الذي يمضونه في المدرسة ، ومن تلك الشاشة الصغيرة يستقي الأطفال كثيرًا من معلوماتهم وثقافتهم، وعبر المشاهد التي تنطبع في أذهانهم يبنون سلوكهم « Scholl, 1981 ».

الأكل المفضل هو ما عرضته الدعاية ، واللبس الأجمل هو ما لبسته الشخصيات المحببة لديهم ، لا يترك التلفاز لهؤلاء الأطفال فرصة؛ لالتقاط الأنفاس والتفكير بهدوء ولا فسحة من الوقت لبناء الذات والاعتناء بالصحة، وأحيانًا للذهاب إلى المرحاض.. التلفاز يمارس العنف بغض النظر عن برامجه ، فهو يقتحم كل بيت دون استئذان ويدخل كل غرفة وسرير مع الحب والترحاب ، يسرق من الأطفال والكبار عقولهم وأوقاتهم ويحتل ذاكرتهم مخيلاتهم، ويحبط تطورهم الذاتي والمستقبل .

هذا ويَعُدُّ الباحثون التلفاز أحد أهم المصادر المحركة للسلوك العنيف ، وبصفة خاصة على صغار السن، ويدرس الشراح مصادر التأثر ، والتي يمكن ردها إلى المصادر الأربعة التالية :

الأول : التقليد :

فمن المعروف أن الطفل يحاول التباهي والتماثل مع الشخصية التي تعجبه وتؤثر فيه . وقد أشار تقرير رفعه عدد من الخبراء الإنكليز ، إلى حكومتهم إلى هذه الناحية موضحًا أن الأطفال يقلدون دائمًا الغالب، ولا يقلدون مطلقًا المغلوب . وعملية التقليد تبدأ بالمشاهدة المركزة والملاحظة الدقيقة : الحركات ، والأصوات ، والتعابير .... وهذه هي مرحلة التعبئة والإشباع، تليها مرحلة الاستخراج والتقليد ، ثم مرحلة الاختبار والإعادة ، يمتحن فيها الطفل قدرته على الاستيعاب والتمثيل وتأديه الدور نفسه، تكفي مراقبة الأطفال بعد مشاهدتهم لأحد أفلام الجودو والكراتيه ، كيف يهبون لحظة انتهاء الفيلم؛ ليطبقوا ما شاهدوه على بعضهم، وغالبًا ما يختار الأقوى الطرف الأضعف الذي يمكنه من إظهار قوته وانتصاره، وبالرغم من أن أو الممثل «ماك جيفر» وضع في صف المعادين للعنف ، بالإضافة إلى أنه بطل مسلسل أمريكي

هدفه الدفاع عن الطفولة وحمايتها ، نجد أنه في عام 1992 لقي مراهقان حتفهما في أثناء محاولتهما تقليده في صنع عبوة متفجرة، فقامت والدة إحدى الضحيتين برفع دعوى ضده بالقناة التليفزيونية الثانية في فرنسا تتهمه بالتسبب في القتل ، كما أن العديد من الأطفال لقوا حتفهم حينما حاولوا الطيران بواسطة القناع الأحمر؛ تقليدًا لشخصية سوبرمان الخيالية .

الثاني : الإشباع

إن عملية التمثيل والتقليد تتم في جزء كبير منها في اللاوعي، وتحدث عن طريق المشاهدة المتكررة، والتراكم البطيئ الذي يؤدي إلى نوع من الإشباع النفسي، والتعبئة القصوى تنعكس في السلوك، وتتجلى في الانفعال والتبعية، وفقدان زمام المبادرة وعدم القدرة على خلق الأفكار وتقويم السلوك بشكل إرادي وواع، والانسياق أخيرًا خلف أفكار الآخرين وسلوكهم .

الثالث : الغموض

مع تطور التقنية وازدياد وسائل تكنولوجيا الواقع الافتراضي ضاقت كثيرًا الحدود الفاصلة بين الوهم والحقيقة، بين الصورة والواقع ، وهذا من شأنه إرباك الطفل واهتزاز شخصيته وابتعاده عن الواقع في ذات الوقت الذي يضطرب فيه تطوره الخيالي، ويضمر حسه الإبداعي «الأنصاري : 2006» ، ولهذا فإن بعض علماء النفس يعتقدون أن الأطفال الذين أصبحوا قتلة إنما فقدوا الصلة الحية والطبيعية مع الواقع وانخرطوا انخراطًا غير واعٍ في عالم من الخيال، تسوده مشاهد مضطربة ومخيفة من العنف والقسوة .

الرابع : الابتذال وضعف الإحساس بالمسئولية :

عندما يشاهد الطفل مشهدًا من مشاهد العنف ، يغمره مزيج متناقض من الشعور بالرعب والخوف، يجعله يهرب من أمام الشاشة إلى حضن أمه وأبيه أو أخيه الأكبر؛ طلبًا للأمن والسكينة ، وشعوره باللذة والإعجاب يرفض معهما التوقف عن

مشاهدة الفيلم، أو إقفال التلفاز ، ويختلط لديه الواقع بالخيال والخوف بالمتعة ، ومع المشاهدة المتكررة يتناقص الخوف، وتنمو اللذة، ويصبح منظر الموت حدثًا عابرًا وتستحل الجريمة لقطة بسيطة ، ويصبح الموت مبتذلاً ، يعني للطفل ما يعنيه لجندي في ساحة القتال ، يألف منظر القتلى والجرحى ، تموت لديه مظاهر الحياة؛ لأنه فقد الإحساس بها، ولم يعد يرى شيئًا من بهجتها وبهائها ، يصبح القتل لديه سلوكًا عاديًّا يمليه الواقع الذي تعوده، والمناظر التي ألفها ، والمشاهد التي انطبعت وتراكمت في خياله .. باختصار يموت لديه الإحساس بالمسئولية ، لا بل يقتنع ولو لفترة قصيرة بشرعية القتل .

مع ألعاب الفيديو يختلف الوضع عما هو عليه التلفاز ، يكف الأطفال عن كونهم مشاهدين؛ ليصبحوا فاعلين مشاركين ... ألعاب الفيديو في غالبيتها المطلقة عبارة عن مباراة وصراع بين اللاعب والآخر ، يربح اللاعب ويجد متعة إذا انتصر ، إذا قتل الخصم وتغلب عليه ، وهذا ينعكس في لاوعي الأطفال وسلوكهم ، بحيث يتصرفون مع أهليهم وأصدقائهم ومعلميهم وفق هذه اللعبة ، فهم والطرف الآخر الذي يجب الصمود أمامه ، ومعاكسته وإفشال خططه، فالطفل يصارع أهله؛ لكي يستجيبوا لرغبة ويتراجعوا أمامه ، ويتمرد على معلميه؛ ليخرج من طاعتهم، ويهزم مساعيهم، ويجد لذة في الانتصار عليهم ، وألعاب الفيديو أخطر من التلفاز؛ لأنها تغذي الأطفال بالعنف وتجعلهم طرفًا مشاركًا فيه ، مما يزيد من عدوانيتهم وأنانيتهم .. هناك أطفال يقضون عشر ساعات متواصلة أمام ألعاب الفيديو، يتخللها عنف ضد الذات بالامتناع عن الأكل والشرب والغسل والرياضة، وحركات عصبية هسترية تتجلى بضرب جهاز الأمر، والتحريك اليدوي بالأرض، أو بالمشاجرة على الدور والانفراد باللعب إلخ .

ومرة أخرى يثبت الواقع العملي فشل النظرية التي تقول بأن الإباحة تقلل من التطلب والتبعية؛ لأن المحجوب مرغوب فيه، وذلك أن مزيدًا من الإباحة يخلق لدى

الأطفال مزيدًا من التعلق والتبعية ، فالألعاب ليست ثابتة ، فالتجار يتفننون ويجددون دائمًا في شكل الصورة، ونوع الألعاب، وموضوعاتها وأسرارها، وفي إمكانية مشاركة فردية أو جماعية أوسع نطاقًا وأشد فاعلية .

والعنف ليس موجهًا ضد الآخر فقط ، وإنما ضد الذات أيضًا، فعندما يتعرض شخص ما لآلام تزيد على طاقة احتماله، أو يختل توازنه الطبيعي من جراء إحباط نفسي أو عجز عن تحقيق آماله وطموحاته، يصبح ضحية لعجزه ولفقدانه القدرة على امتلاك زمام نفسه فيكون الانتحار .. ولا شك أن التلفاز يسهم إسهامًا فعالا في تزايد حالات الانتحار نظرًا لتنمية النزعة العدوانية ولجعله الموت حدثًا بسيطًا في فيلم قصير ، ونظرًا لعرض أفلام تعلم الأفراد طرقًا وأساليب للتخلص من الحياة لم تكن واردة من قبل في أذهان العديد من الضحايا ، ولقد تناول باحثان أمريكيان دراسة 12500 حالة انتحار ما بين 1973 ، و 1979 تبين أن نسبة الانتحار ازدادت بنسبة 13.5 % بين المراهقات، و 5.2 % بين المراهقين في الأيام التي تعقب مشاهدة أفلام العنف التي تتخللها عمليات الانتحار .

وإذا كان التلفاز وألعاب الفيديو يشكلان عنصرًا من عناصر تغذية العنف فإن هناك عناصر أخرى لا تقل عنه أهمية وفعالية ، وذلك أن دور كل من العائلة والمدرسة والجماعة والوضع الاجتماعي له أهمية أيضًا في هذا المجال ، فالعائلة المفككة والبطالة وانتشار المخدرات والكحول وتفشي البغاء والأمراض وتراجع القيم .. كلها عوامل مواتية؛ لتزايد العنف وارتفاع حدته «Scholl ، 1981».

الفصل الرابع :

علاج السلبيات ومكافحة العامل المهيئ

من المقرر - بنص الاجتهاد الإسلامي المعاصر - جواز التصوير لمقتضيات الحاجات الاجتماعية بفعل التقدم العلمي والتطور الحضاري ، من هنا يستمد البث المباشر شرعيته « أبو زهرة : 1957» بيد أن ممارسته هي محل تقييم فيما يعرض من خلاله.

ولقد أثبتت الدراسة أن للبث المباشر سلبيات تمس خصوصية الفكر الإسلامي، وتهدد الهوية، هذا من جانب. ومن جانب آخر تمثل هذه السلبيات عاملًا مهيِّئًا لارتكاب الجريمة .

كان من المحتم وضع مكافحة هذا العامل المهيِّئ ضمن بؤرة الاهتمام في مجال الدراسات الاجتماعية بوجه عام ، والدراسات الجنائية بشكل خاص . ففي مجال الدراسات الاجتماعية صدرت بحوث وتوصيات عديدة ، يتناول معظمها تدابير مجتمعية، يتمثل أغلبها في مواجهة الوسيلة بالوسيلة ، كما في البث المضاد من خلال برامج تستهدف إيقاف الغزو الثقافي، وأخرى تدعم القيم التربوية ، وهكذا ، كل ذلك في سياق إعلامي موجه ضد ما يجلبه البث المباشر من سلبيات .

وفي مجال الدراسات الجنائية ، يتضح أن معظمها يعالج الآثار السلبية للبث المباشر ، برؤية تقليدية تستند إلى المناهج الفكرية الغربية .

وأنسب حلول لمعضلات البث المباشر هو اتّباع منهج شريعتنا، فلقد ناقشت الشريعة مثل هذه القضايا الشائكة منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، وأبرزها تأثيم نظر المحارم، فالمحارم على قمة وعروض ومشاهد البث المباشر المرفوضة شكلًا ومضمونا .

ومع تعدد الحلول التي تضعها البلدان الإسلامية في سبيل التصدي لتلك الظاهرة، يتضح أن أنسب حل هو اللجوء إلى ما ارتآه الشارع سبحانه وتعالى ومنهجه المحدد سلفًا؛ لوقاية المجتمع الإسلامي . ويكون من الأوقع والأدق أن نلقي الضوء على هذه المشكلة من منظور سياسة التجريم والعقاب في شريعة الله، ولعله من الأنسب أن يكون مدخلنا جريمة الزِّنَى، ثم نتناول جرائم النظر إلى المحارم .

في النموذج الشرعي لجريمة الزِّنَى: الزِّنَى عند الإمام أبي حنيفة .. بالنسبة إلى الرجل ، الوطء المحرم في قبل المرأة الحية ، وطئًا عاريًا من الملك والنكاح والشبهة ... وبالنسبة إلى المرأة أن تمكن الرجل من مثل هذا الفعل ، ويضيف الشافعي وابن حنبل

إلى ذلك الإتيان في الدبر ، والزِّنَى جريمة «حدية» ، العقوبة فيها تجب حقًّا خالصًا لله تعالى حددها الشارع مقدمًا، فلا يملك ولي الأمر إلا أن ينزلها بالمذنب كما هي من دون نقصان أو زيادة ، كما أنها لا تقبل النزول عنها ما دام لا حق للأفراد فيها .

وجريمة الزِّنَى شأنها شأن جرائم الحدود التي حصرها فقهاء الشريعة في مصادرها الشرعية إما بالنص القرآني، وإما بالسنة «أبو زهرة : 1957 ».

الحكم الشرعي في نظر المحارم :

من الثابت المحقق أن الآيات القرآنية قد سجلت كل أصول نظرية المسئولية الجنائية قبل أن ينادي بها فلاسفة القرن الثامن عشر في أوروبا باثني عشر قرنا ، والتشريع الجنائي الإسلامي يقوم على تقسيم ثلاثي لكل من الجرائم والعقوبات ، روعيت فيه التفرقة - من ناحية - بين حقوق الله وحقوق العبد أي الفرد ، والتفرقة من ناحية أخرى بين هذه الحقوق كلها وحقوق المجتمع . فمن الجرائم ما تنشأ عنه حقوق في العقاب خالصة لله، أو يغلب فيها حق الله تعالى ، وهذه هي جرائم الحدود، ومنها الزِّنَى ومنها على العكس جرائم يقتصر ضررها المباشر على أفراد الناس حيث تصيبهم الجريمة في أشخاصهم، أي في حياتهم أو أبدانهم ، ومن ثم فإن العقاب عليها يتعلق بحق العباد سواء بصفة مطلقة، أو بنسبة غالبة تبعًا لما إذا كان الضرر فرديًّا خالصًا، أو تغلب عليه هذه الصفة ، وهذه جرائم القصاص والدية ، ومن الجرائم أخيرًا ما لا صلة لها في الأصل بحقوق الله أو حقوق الأفراد ، وإنما هي جرائم فيها انتهاك للقيم الاجتماعية المتعارف عليها ، أو اعتداء على أنظمة المجتمع المتغيرة في المكان والزمان ، وهذه هي جرائم «التعزير» «عامر : 1967».

وإذا كان النظر إلى المحارم لا يصدق عليه وصف الزِّنَى – حسب تعريفه الشرعي – إلا أن ذلك ليس من مؤداه رفع صفة الاسم عن متعمد النظر إلى المحارم في غير ما استثنى الشرع، إذ يكون الناظر إلى المحارم مسئولا عن جريمة تعزيرية ، وهي التصنيف الثالث للجرائم التي أتى بها الشرع الحنيف.

الضوابط الشرعية لجريمة النظر إلى المحارم «اليك : 1995»

يقول تعالى في محكم كتابه «ولا تقربوا الزِّنَى إنه كان فاحشة وساء سبيلًا» «الإسراء/ 32» وهي توعية من مجرد الاقتراب من الزِّنَى، مثل النظرة الفاحشة والملامسة وما أشبه ذلك، قال الإمام القرطبي في تفسير تلك الآية : «أبلغ من أن يقول: ولا تزنوا ، أن يقول لا تدنوا من الزِّنَى» « تفسير القرطبي : 5 / 3869»، فهو محرم من باب أولى، والأسباب المؤدية إلى الزِّنَى عديدة ، ويسجل لشريعة الله أنها وضعت لها من الآداب ما يعد وقاية منها ، وفي مقدمة هذه الآداب : غض البصر ، حيث قيدت الشريعة النظر إلى النساء؛ اجتنابا لإثارة الشهوات والوقاية من الجنوح إلى الويلات؛ لأن النظر خائنة نفسية، ولأنه رسول الشهوة، وبريد الزِّنَى ورائد الفجور ، فيقول جل علاه : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون» «النور / 30 » « تفسير ابن كثير : 43/6 ». يقول ابن كثير «هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا أبصارهم عما حرم عليهم ، فلا ينظرون إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه ، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم» «نيل الأوطار : 127/6». وليس المقصود من غض البصر المنع المطلق ، بل المقصود سد ذريعة الفتنة بما لا تدعو إليه حاجة ومنفعة ، ولاجتناب زنى النظر بالتلذذ برؤية جمال النساء وزينتهن . والشريعة لا تمنع النظر بملء العين في كل شيء ، وإنما تستهدف تقييد النظر في دائرة محدودة، تحظر النظر إلى ما يحرم من النساء .

ولا يكون من زنى النظر ، النظرة المفاجئة المجردة عن قصد السوء ، وكما جاء في الحديث : قال رسول الله «صلعم» ـ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة». وفي شرح هذا الحديث يقول الشوكاني: «فيه دليل على نظرة الواقع فجأة ، من دون قصد ولا تعمد ، فإنه لا يوجب إثم الناظر؛ لأن التكليف به خارج عن الاستطاعة» «شرح النووي : 14 / 139» . وقرر النووي قائلا: معنى نظر الفجأة ، أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد ، فلا

إثم عليه في أول ذلك ، ويجب عليه أن يصرف في الحال ، فلا إثم عليه ، وإن استدام النظر أثم لهذا الحديث ، فإنه ـ صلعم ـ أمره بأن يصرف بصره مع قوله تعالى : «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم».

قال الإمام الغزالي: «من لم يقدر على غض بصره، لم يقدر على حفظ فرجه» «إحياء علوم الدين : 102/3»؛ لأن النظر وسيلة إلى عدم حفظ الفرج ، فالنظر مقدمة للزنى، ورائد القلب، كما الحمى رائد الموت ، وذكر ابن القيم : ولما كان مبدأ الخطر من قبل البصر، جعل الأمر بغضه مقدمًا على حفظ الفرج ، فإن كل الحوادث مبدؤها من البصر، كما أن معظم النار مبدؤها من مستصغر الشرر . ثم تكون نظرة، ثم تكون خطرة، ثم تكون خطوة، ثم تكون خطيئة، ولهذا قيل : من حفظ الأربعة أحرز دينه: اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات .

فالنظرة أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان ، فالنظر داعٍ إلى فساد القلب، والعلاج الوحيد في الوصول إلى قمة العفة والتسامي هو غض البصر عن الحرمات، والنظر سهم إلى القلب ، ولذلك أمر الله بحفظ الفروج، كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك «تفسير ابن كثير : 44/6» ، وحفظ الفرج في تفسير ابن كثير «حفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزِّنَى، كما يقول تعالى : «والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين» «المؤمنون / 5 و6»، وتارة يكون بحفظه من النظر إليه ، كما جاء في الحديث : «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك» «تفسير ابن كثير : 7 / 44، وانظر الحديث : في مسند أحمد : 5 / 3 و 4، وسنن أبي داود : كتاب الحمام ، باب ما جاء في التعري ، رقم الحديث : 404018 / 40 و 41، وتحفة الأحوزي : أبواب الاستئذان ، باب ما جاء في حفظ العورة الحديث : 802946 / 77 و 78 ، قال الترمذي ، هذا حديث حسن».

وعن توعية الإسلام من خائنة الأعين ، قال تعالى : «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» «غافر / 19» ، ويقول ابن عباس: «هو الرجل يكون جالسا مع القوم فتمر

المرأة فيسارقهم النظر إليها ، وعنه أيضًا: هو الرجل ينظر إلى المرأة ، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، فإذا رأى منهم غفلة تلبس بالنظر ، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره ، وقد علم الله ـ عز وجل ـ منه أنه يود لو نظر إلى عورتها» كما أنه قرر كذلك : «هو الرجل ينظر إلى المرأة الحسناء تمر به ، أو يدخل بيتا هي فيه ، فإذا فطن له غض بصره ، وقد علم الله تعالى أنه يود لو اطلع على فرجها ، وإن قدر عليها زنى» « فتح الباري : 9/11 ».

عقوبة الناظر إلى المحارم

وضعت الشريعة الغراء نظامًا دقيقًا ـ كما ذكرنا مقدمًا ـ في تصنيف الجرائم، ويردها الفقهاء إلى ثلاث طوائف : الأولى : وهي جرائم «الحدود»، وتنضم إليها جريمة الزِّنَى إذا توافرت شروطها الجامعة ، والثانية : وتسمى جرائم القصاص والدية . والقصاص شرعًا عقوبة مقدرة كالحد ، ولكنها على خلافه، تجب حقا للفرد ، ويندرج فيها القتل العمد وإصابات البدن، والقتل والإصابات الخطأ والقتل شبه العمد. والطائفة الثالثة من الجرائم، ويطلق عليها جرائم التعزير .

ويبدو أنه من المناسب إلقاء الضوء على طائفة جرائم التعزير، وذلك بالقدر اللازم لتفهم صلة تلك الجرائم بجريمة النظر إلى المحارم ، ذلك أن الأخيرة لا تندرج تحت وصف الحدود، أو القصاص والدية. فالمعروف أن الشريعة الغراء لم تترك كبيرة أو صغيرة إلا وقد حسمت حلولا لها، صحيح أن نظر المحارم لا يكون زنىً، ومع هذا يسأل الناظر ، ومسئوليته تجد أساسها في قوله تبارك وتعالى : «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولًا » «الإسراء / 36»، أي يُسْأَل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يُسْأَل عما فكر فيه واعتقده ، والسمع والبصر عما رأى من ذلك «تفسير القرطبي : 5 / 3875» ، وجدير بالذكر أنه تحقق إيقاع عقوبة النظر إلى المحارم على عهد رسول الله ـ «صلعم» ـ وقد أوقعها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على رجل خالف مبدأ غض البصر؛ إذ مر رجل على عهد رسول الله «صلعم» في طريق

من طرقات المدينة، فنظر إلى امرأة، ونظرت إليه ، فوسوس لها الشيطان أنه لم ينظر أحدهما إلى الآخر إلا إعجابا به ، فبينما يمشى الرجل إلى جانب حائط ينظر إليها، إذا استقبله الحائط فشق أنفه . فقال : والله لا أغسل الدم حتى آتيَ رسول الله «صلعم» فأعلمه أمري ، فأتاه ، فقص عليه قصته، فقال له النبي «صلعم»: وزنى هذا عقوبة ذنبك. وقد عبر النبي «صلعم» عن النظر الخائن بزنى العين ، لأنه قد يؤدي إلى الزِّنَى حيث قال: وزنى العين النظر، وزنى اللسان النطق ، والنفس تنتمي وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه «الدر المنثور : 5 / 40 ».

وحكم غض البصر موجه إلى الرجال والنساء على حد سواء لقوله تبارك وتعالى: « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن » سورة النور الآية 36 ، فكما حرم الإسلام نظر الرجال إلى النساء الأجنبيات، كذلك حرم على المرأة النظر عمدًا إلى الرجال الأجانب .

وهكذا يكون الشارع سبحانه وتعالى قد أنار الطريق أمام ولي الأمر؛ ليعزر ناظر المحرمات ، والذي ارتكب معصية، وهي جريمة النظر إلى المحرم . فالشارع قرر مبدأ المسئولية بنص شرعي قطعي ، مما يؤكد تجريم نظر المحارم ، وفي باب العقوبة ضرب لنا ـ سبحانه ـ المثل السابق؛ ليصبح من حق ولي الأمر تعزير المسئول . وكأنما الله سبحانه وتعالى ـ في المثل السابق ـ قد بادر إلى توقيع العقوبة الدنيوية على عبده العاصي : تبصرة لأولي الأمر بضرورة العقاب على المعاصي التي تشكل خطرًا على الدين والدولة في آن واحد ، وحتى ولو لم ينص على عقوبة التصرف في النصوص الشرعية .

والتعزير يحمل معنى التأديب والإصلاح ، وهذا النظام تفردت به الشريعة الإسلامية الغراء بين كل الشرائع القديمة والوسيطة والحديثة ، ويكفل للأحكام الشرعية مسايرة الأوضاع الاجتماعية المتغيرة في الزمان والمكان ، وهذا يؤكد خلود الشرع الإسلامي على الدهر . فبالتعزير يمكن الوقوف ضد الرذائل والمعاصي التي

فيها انتهاك للأخلاق الاجتماعية الصِّرْفة ، وسواء صدرت عن الرجل أو المرأة . ذلك هو موقف شريعتنا من الآثار الجنائية للبث المباشر فيما يعرضه من مواد محرمة .

وخير الختام تأمل قول المولى عز وجل : «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين» . سورة القصص الآية / 55.

الخاتمة والتوصيات :

وهكذا يكون الباحث قد أوجز رؤيته حول هذا الموضوع المهم، والذي ينتمي بحسب الأصل إلى بحوث علم الإجرام ، مع ملاحظة الاستعانة بالدراسات الاجتماعية المتخصصة؛ لوجود صلة شديدة بين ما انتهى إليه علماء الاجتماع ودراسات علماء الجريمة .

حاول الباحث أن يقدم رؤية تكاملية حول الآثار الجنائية للبث المباشر ، من منظور أن سلبيات البث لها تأثير في السلوك الإنساني ، وتمثل رافدًا أساسيًّا يهيئ للنشء ارتكاب الجرائم، الأمر الذي جعل الباحث يهتم بإلقاء الضوء على صلة الصور المرئية بالسلوك الإجرامي، وما تحمله هذه الصور من تأثيرات تفضي إلى نتائج ضارة من المنظورين الاجتماعي والجنائي .

فبعد أن عرف الباحث تكنولوجيا البث المباشر انتقل إلى شرح سلبيات البث المباشر في ضوء أحدث الدراسات الاجتماعية والتربوية ، ثم عرج بعد ذلك إلى بيان انعكاسات هذه السلبيات في السلوك الإجرامي، وانتهى الباحث إلى ضرورة الالتزام بضوابط الشريعة الإسلامية وأحكامها، من أجل تحقيق الوقاية وصيانة مجتمعاتنا العربية والإسلامية من العروض، خصوصًا المحرمة ناشرة الرذيلة وهي أكثر ظهورًا عبر البث القادم من مصادره المختلفة خصوصًا المصادر الأجنبية .

وفي ضوء نتائج هذه الدراسة يقترح الباحث التوصيات التالية :

أولًا : ترسيم استراتيجية إعلامية إسلامية؛ لدعم القيم التربوية السامية ، وإثراء التغطية الإعلامية بالمواد الشرعية؛ لضمان وقاية المجتمع الإسلامي من الأضرار

والسلبيات القادمة عبر البث المباشر بمفهومه الشامل ، أي حفز وتنشيط واتساع البث الإسلامي المضاد ، ويدعو الباحث إلى عقد منتدى، أو مؤتمر تتسع فيه الرؤية ببيان انعكاسات العروض السلبية للبث المباشر، وعلى أن يوضع في دائرة الضوء موقف الشريعة من العروض التي تمثل جرائم النظر إلى المحرمات .

ثانيًا : وعلى المستوى الاجتماعي ، في ضوء الدور الأساسي الذي تؤديه الأسرة في سبيل بلورة مفاهيم إيجابية لدى الشباب، وتعميق وعيهم إزاء التعامل مع التلفزيون فإنه يجب اتباع الضوابط التالية :

1ـ خلق الثقة ، بمعنى خلق علاقة إيجابية صريحة بين الأسرة والشباب؛ لتعويدهم على النقاش الحر الديمقراطي المتبادل من دون جعل هذه العلاقة قائمة على أسس القهر والقسر والإرهاب .

2ـ خلق الوعي ، بمعنى إيجاد وعي إيجابي لدى الشباب بموقفهم من الحياة والثقافة، وتطوير هذا الوعي بالحوار الديمقراطي بينهم وبين الأسرة ، وتعميق وعيهم بمضار التلفزيون ومحاسنه.

3ـ ينبغي أن تكون سلطة الأسرة في التعامل مع الشباب بما يتعلق باختيار البرامج والأفلام قائمة على الحوار، وليس على أسلوب السلطة القهرية .

4ـ ينبغي على الأسرة تنظيم وقت المشاهدة بما لا يؤثر في المستوى الدراسي للشباب.

5ـ توفير الأجواء الموضوعية للشباب داخل الأسرة ، وإيجاد منافذ أخرى لوسائل الترفيه، بحيث تكون متنوعة، وغير قاصرة على وسيلة واحدة كالتلفزيون .

ثالثًا : ضرورة أن تهتم القنوات الفضائية الإعلامية، وأن تضع في حسبانها أهمية ما تقوم به من حيث تأثيره في الأجيال القادمة ، وأن تتوخى في البرامج التي تعرضها مدى مناسبتها للبيئة والثقافة العربيتين . من الأهمية بمكان أن تبدأ القنوات الفضائية الخاصة منها والحكومية بإنتاج مواد إعلامية تتناسب وطبيعة البنيات العربية ، وفي

هذا الإطار يجب على الحكومات العربية تمويل القنوات الخاصة والرسمية بقدر ما تستطيع، من أجل إنتاج هذه البرامج الجادة، ودعم وجودها.

رابعًا : العمل على إنشاء مجالس قومية متخصصة، مهمتها وضع ضوابط أخلاقية ترتبط بعمل هذه القنوات الفضائية بما يؤدي إلى تحسين مستواها ورفع كفاءتها .

خامسًا: تطوير أجهزة الإعلام المحلية ، وخاصة التلفزيون ، بما يلبي رغبات الشباب واتجاهاتهم ، وجعل البرامج والأفلام أكثر حيوية وقريبة لمشكلاتهم ، وجعلهم مشاركين فعّالين في صنع هذه البرامج؛ ضمانًا لإعادة الثقة بالأجهزة الإعلامية مع محاولة تقليل ساعات المشاهدة للقنوات الفضائية الوافدة، وهذا لا يتم إلا بوضع الخطط العلمية من خلال ما يأتي :

1ـ خطة لمواجهة الغزو من خلال وضع استراتيجية واضحة المعالم، ووافية من ناحية التنفيذ بما يتعلق بالطرق والوسائل الكفيلة؛ للتقليل من طوفان المادة الأجنبية في التلفزيون، والتقليل من حدتها ومضارها .

2ـ خطة لتحصين الشباب، تتضمن عناصر مهمة تتعلق بتعبئة الفرد سياسيًّا وثقافيًّا وتعميق وعيه بمضامين الغزو وسلبياته، وتطوير الوسائل الإعلامية الوطنية ومضامينها.

3ـ اتخاذ بعض الإجراءات الإعلامية المناسبة، ومنها :

«أ» إنشاء لجان متخصصة من رجال العلم في مختلف الاختصاصات؛ لاستيراد المادة الفيلمية الأجنبية، وفحصها من جميع جوانبها ، ومدى ملاءمتها للواقع الاجتماعي.

«ب» التقليل من أفلام العنف ، والتقليل من تكرارها ، خاصة تلك الأفلام التي تتحدث بالتفصيل عن السرقة، وطرق الجريمة ووسائلها ، والتقليل من الأفلام والبرامج والإعلانات التي تحتوي مضامينها أو أشكالها على عرض النماذج الغربية في الاستهلاك .

سادسًا : ضرورة أن تقوم مؤسسات المجتمع التعليمية والثقافية والاجتماعية والتربوية بوضع خطة مناسبة؛ لاحتواء الشباب، وحصانتهم من التيارات الإعلانية والثقافية الوافدة من خلال الفضائيات ، واستثمار أوقات فراغ الشباب بما يخدم تنمية شخصياتهم، بحيث يكونون قادرين على خدمة مجتمعهم، ولهذا نوصي بما يأتي:

1ـ خلق التوعية الشبابية للمشكلات والظواهر ، خلال وسيلتين هما ، الإعلام والتعليم، وضرورة ترابطها بما يخدم أهداف العمليتين .

2ـ التحكم في المادة الأجنبية من خلال تشديد الرقابة عليها من خلال الأسرة والدولة. والأهم في رأينا خلق الوعي لمضارها .

3ـ تفعيل الجمعيات الثقافية ودعمها ماديًّا ومعنويًّا من أجل تنشيط الحياة الثقافية والاجتماعية في الحياة المختلفة، وإشراك الشباب في هذه الأنشطة، وكذلك في صنع القرار .

سابعًا : اهتمام مؤتمرات بحوث الجريمة بتبني مستجدات الدراسات التربوية والاجتماعية ذات الصلة بالآثار الجنائية الناشئة من تطور البيئة الاجتماعية ومؤثراتها .

ثامنًا : توجيه نظر أكاديميات البحث العلمي في التخصص الجنائي إلى دعم الدراسات الميدانية، واعتماد أساليب بحوث الدراسات النفسية المتخصصة ، ومحاولة الاستفادة منها بتخريجها مع علم النفس الجنائي ، بوصفه فرع علم لم يلق حقه في الدراسات المتعمقة .

تاسعًا : ضرورة اهتمام الدوائر الجنائية بنشر كتيبات تستوعب كل جديد من نتائج الدراسات الاجتماعية والإنسانية ذات الصلة بالبحوث المهتمة بدراسة أسباب الجريمة وأساليب مكافحتها، وطرق تقويم النشء خصوصًا الأحداث منهم .

عاشرًا : على منظمي التشريعات والقوانين صياغة قواعد قانونية تؤثم التصرفات

الإعلامية غير المسئولة، وإرساء ضوابط إلزامية للقائمين على الإعلام بحيث يعاقب المخطئ جنائيًّا، وحجة الباحث في ذلك هو الفن القانوني الذي يرى تجريم التصرفات التي من شأنها تعريض الشباب للانحراف ، وخاصة الأحداث . وأن ينص على القواعد سواءً في قانون العقوبات العام، أو القوانين الخاصة، مثل قوانين الأحداث وقوانين حماية الطفل.

ببليوغرافيا

أولًا: باللغة العربية

1ـ أبو زهرة، محمد «1957». الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي . القاهرة : دار النهضة العربية .

2ـ أبو العينين ، حمدي حسن «2003». عولمة الأنشطة الإعلامية ـ قضايا وآراء . الكويت: حولية الآداب والعلوم الاجتماعية رقم 24 .

3ـ اليك ، حسن «1995» . آداب صيانة العرض . مجلة الأزهر . القاهرة : مجمع البحوث الإسلامية . الجزء 11 ، «ابريل» .

4ـ الأنصاري ، عيسى محمد «2006»: المعلومات المتضمنة في برامج الأطفال بالتلفزيون الكويتي ـ دراسة تحليلية. مجلة العلوم التربوية والنفسية . البحرين : كلية التربية ـ جامعة البحرين «المجلد السابع ـ العدد الثالث»، سبتمبر .

5ـ الأهواني ، حسام الدين كامل «2003». الإنترنت كوسيلة لاستغلال المصنفات وحقوق المؤلف. المجلة العربية للثقافة . تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . 44 ، «مارس».

6ـ بهنام ، رمسيس «1982» . المجرم تكوينا وتقويما . الإسكندرية : منشأة المعارف بالإسكندرية . مطبعة الوادي .

7ـ البياتي ، ياسر خضير «2006». التأثيرات الاجتماعية المحتملة للتلفزيون على الشباب ـ دراسة ميدانية على شباب الإمارات ، مجلة شئون اجتماعية ، الشارقة :

جمعية الاجتماعيين والجامعة الأمريكية بالشارقة . 90 و 91 «ربيع وصيف» .
8ـ البياتي ، ياسر خضير «1991» . احتلال العقول . بغداد : دار الحكمة للطباعة والنشر .
9ـ الجابر ، زكي «1986» . الإعلام والمؤسسة التعليمية . الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج . الطبعة الثانية .
10ـ حجازي ، مصطفى «1998» . حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية . الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي .
11ـ الخطيب ، محبي الدين «1995» . أثر الصحافة والسينما في توجيه المجتمع . مجلة الأزهر . القاهرة : مجمع البحوث الإسلامية . الجزء 12 ، « مايو » .
12ـ السويدي ، صبح «1995» . الإسلام لسعادة البشرية . مجلة منار الإسلام . أبو ظبي : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الإمارات العربية المتحدة . 10، «مارس» .
13ـ شاهين ، بهاء «1996» . شبكة إنترنت . الطبعة الثانية .
14ـ شعبان ، مظفر صلاح الدين « 1986» . أول محطة إذاعة تعمل بالطاقة الشمسية، مجلة العربي . الكويت : وزارة الإعلام ، 428 ، « مارس » .
15ـ الشنطي ، محمد زكي «1998» . الأقمار الصناعية، المكتبة الثقافية للراشدين . تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
16ـ عامر ، عبد العزيز « 1967» . التعزير في الشريعة الإسلامية . القاهرة : دار النهضة العربية . الطبعة الثالثة .
17ـ عبد العظيم ، صالح سليمان «2007» التأثيرات الاجتماعية للقنوات الفضائية ـ دراسة على طلبة جامعة الإمارات العربية المتحدة . مجلة شئون اجتماعية. الشارقة : جمعية الاجتماعيين والجامعة الأمريكية بالشارقة . 93 و 94 «ربيع وصيف» .
18ـ عبيد ، رءوف « 1981 » . أصول علمي الإجرام والعقاب . القاهرة : دار الفكر

العربي . الطبعة الخامسة .

19ـ عدوان ، نواف « 1996 » . الانعكاسات الثقافية والاجتماعية للبث الأجنبي المباشر. مجلة الإذاعات العربية . تونس . 1

20ـ العشري ، أيمن «1998» . المرجع في أساسيات وأسرار الشبكة الدولية إنترنت . القاهرة : مكتبة الفيروز .

21ـ على ، نبيل « 2003 » . تحديات عصر العولمة . القاهرة : مكتبة الأسرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

22ـ القادري ، قاسم «1994» . العنف والتلفاز في الغرب . مجلة الوعي الإسلامي . الكويت : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية . 346 ، «نوفمبر» .

23ـ لطفي ، محمد حسام محمود « 2003 ». البث الإذاعي عبر التوابع الصناعية وحقوق المؤلف . المجلة العربية للثقافة . تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . 44 ، « مارس » .

24ـ محمد ، محمد سيد « 1994 » . الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر ، القاهرة: دار الفكر العربي .

25ـ المقوسي ، محمد «1986» . إمكانات واستخدامات الشبكة العربية للاتصالات الفضائية . عمان : سلسلة الحوارات العربية عن منتدى الفكر العربي .

26ـ اليحياوي ، يحيي «2002» . في العولمة والتكنولوجيا والثقافة ـ مدخل إلى تكنولوجيا المعرفة . بيروت : دار الطليعة

ثانيًا : باللغة الإنجليزية

1- Cunningham , S . & Jacka , E . «1994» . Neighbourly relations ? Cross – cultural reception analysis and Australian soap in Britain . cultural studies, 8 «3» , 509 – 526 .

2 - Donald . R Taft ,«1950 » Criminolgy .

3 - Etienne de Greeff , «1945 » introduction a la Criminologie ,, paris .

4 - Makeen , « 2000 » ,copyright in a global information society : the seope of copyright , protection under international , US , UK and French Law , Center of European Law / King>s College / London_Kluwer law international .

5 - Mario FABINAL , « 1988 » , Le droit d>auteur face a la radiodiffusion directe par satellite . Dr . Auteur 1988 , P.17 et victor NABHAN . Les satellites et le droit d>auteur au Canada . RIDA , avril 1984 , P . 37 .

6 - Martin n Barbero , j . « 1995 » . Pretexts : conversations about communications and its .

7- Morley, D . & Robins , K . « 1995 » . Spaces of identity . London : Routledge.

8 - Neumeyer , « 1953 » juvenile Delinquency in Modern society , new york .

9 - Radcliffe, S . « 1998 » . Frontiers and popular nationhood : Geographies of identity in the 1995 Ecuador – Peru border dispute . political Geography. 17 «3» . 273 – 293 .

10-Reiff , D . « 1993 » . A global culture ? world Policy journal , 10 «4» 73 – 81.

11-Stephens, M . « 1993 » . POP goes the world . Les Angeles times magazine. « han » 17, 22 – 34 .

12-Scholl, K . « 1981 » four young children construct reality : television watching . in the home . research prepared at Indiana university U . S . A.

13-Featherstone, M . « 1992 » . Undoing culture . London : Sage .

14-Singer,L . Dorothy, G « 1983 » . Psychologists Look at TV : Cognitive developmental, Personality, and social Policy implication . Americam Psychologist, 38 «7» 236 – 243 .